

لبنان الاشتراكي

العدد الثامن

تشرين الثاني ١٩٦٧

في هذا العدد

- * الافتتاحية
- لبنان : استقرار الحكم والامور المعقدة .
- * موضوعات أولية في إطار المعركة .
- * ماذا يعني رفع شعار "الكفاح المسلح" في المرحلة الراهنة ؟
- * زاوية التثقيف النظري :
- لينين : حول البيروقراطية وموقف الحزب الثوري .

في ذكرى أكتوبر

ان الحدث النضج الذي اجتاحت فيه الطبقة العاملة وجماعية الفلاحين والكادحين الامبراطورية الروسية القيصرية المتداعية لتبني اول دولة اشتراكية في العالم ليس بالحدث الذي يمكن ازاء ذكره الخمسينية الاكتفاء بالخطب والمقالات والمبرجانات . ان تحية ثوريي البلدان المتخلفة لاكتوبر تكون في دراستها كتجربة اولى في بناء الاشتراكية في بلد متخلف ، اولاً ، وفي دراسة اللينينية بوصفها علم قيادة الجماعية في حقبة الثورة الاجتماعية هذا ما سنحاوله ابتداءً من عودنا القادر .

١ - وزارة الفنينين والجمعية الديمقراطية البرلمانية .

منذ سنة تقريبا التفاربعون نائباً جمعهم خلال السنوات الماضية اواخر وملاقات كثيرة في جبهة واحدة ، وحينما ، والجمعية الديمقراطية البرلمانية . اذا كان الاربعون سياسيين اميليين ، فقد بقي خارج الجمعية سياسيون لا تتقدم المرافقة والامالة : بعضهم كان قد مثل جديته الخاصة النضال الوطني الجنبلاطي) ، وبعضهم الآخر التقى شركاء صغير في كنف تجمع بيروت لا يألف من ان يضمن بعلبيكيين مستجدين ، والحق يقال ، يضمهم جنين عتيق الى ركن الدائرة الثالثة . هذا عدا ثقات الخيف يفرض عليه الوفاء لتركه الوالد الدستوري المحافظ على الجدران المستمدة وان باتت لا ترد حمية ربح . عند اعلان تأسيس الجمعية ، بمبادرة رشيد ثرايم وهو خان حكم ينتظر عودته بين الحين والآخر ، رأى المعلقون في الاعلان " ورقة " يضيفها النورث الى اوراقه الاخرى ، وتعجلا برحيل حكومة يافية تنسل منها الحياة رغم " الاقارب " الذين يستقونما بثقلهم وعددهم . اذا كان لا شك بالصدى المباشر ، والتبكي ، الذي كانت تبغيه المبادرة فان هذا الصدى لا يفسرها تماما ، وانما هو عنصر من عناصر متعددة ومختلفة يساهم بعضها في توضيح ملامح الحياة السياسية في لبنان . قبل تشكيل الحكومة الحالية كان الحكم الذي بدأه شارل حلو قد اجتاز تجربة في تشكيل الوزارات ، وان كانت ذات طلة وثيقة بالتقاليد اللبنانية التي تفرس " الماركة " الشخصية ، فانها تتعداها باتجاه البحث عن حيطة تتوازن ضمنها مختلف الاتجاهات التي تولدت عن السنوات الست السابقة . فقد كانت الوزارة الاولى ، التي تلت انتخابات ربيع ١٩٦٤ تمثل عددا من القوى التي تنافس في المجلس النيابي والتي تسمين على الحياة الاقتصادية في لبنان . ولكن النتيجة لم تكن مشجعة تماما . ذلك لان وجود نواب في مجلس الوزراء ياتي بصورة دائمة وجود نواب خارج مجلس الوزراء نفسه . ولما كانت العلاقة بين الكرسي الوزاري وبين تنفيذ عدد من المشاريع المحلية ، والمندقية ، علاقة حميمة ، فان تسمم الكرسي يكاد يكون شرطا من شروط الاستمرار في النعيم النيابي في بلد يقوم على التمثيل السياسي على مصالح محصورة في حدود الدائرة الانتخابية . وانتفاء النائب - الوزير الى كلفة يمثل مصالحها ، في غياب رعيم الثقة عن مجلس لا يلبز به لغياب الانداد ، ولا يشكل حلا مرضيا لمشكلة الحكم لانه ياتي الى جانب قضية التوازن السياسي والدائقي ، قضية توازن السنادات او الاقلام الانتخابية . واذا ما طرأت معضلة تتمثل باطراف ومصالح متعددة ومتصارعة (كمعضلة انقرا : الازمة والحل) فان وجود صفات متعارفة في الوزارة يعيق ، ان لم يشل ، عملية البحث عن حل ينبغي ان يرضى جميع الاطراف الاقوى ولكن دون اثاره خفيفة الاطراف الاخرى . هذا الجانب من وضع الحكم في لبنان ، لم يكن يثير مشغريات ضخمة في العهد الشهابي ، ولا سيما في اواخره ، لان الحاكم الفعلي كان يملك قوة ونفوذاً يسمحان له بفرض الوصية على الاطراف المتخاصمين ، ولو كانوا " اقارباً " (خلال اثنين وعشرين شهرا كان التمايز ماليا ووديا بين الجميل وجنبلاط ، والاسعد وبني . . . داخل اجتماعات مجلس الوزراء وخارجها) . ولكن الطرف الحالي مختلف . فالحاكم الفعلي لا يملك من الحكم الا رحلاته والقابله وسياراته . . . مما يجعل من تعرض الفئات النيابية مشكلة تعكر صفو حكم لا يملك بقراءة الخاصة فرض الحلول " الضرورية " كما يمدد بنسب الوابحة الديمقراطية كلها اذا ما طرأت القوى غير الخاصة ، اي الحيش ومكاتبه ، الى التدخل السلبي . هذه الامور واجهها الحكم منذ انتخاب رئيس الجمهورية الجديد وكان عليه ان يجد لها حلا ضمن الحدود التي يفرضها التقليد اللبناني الرسمي ، اي دون المساس بالاشغال التي تحلها الايدولوجية الاداعية : الاستقرار ، والتوازن حياد الدولة . . . وكان الحل تجربة الحكومة الكرامية الاولى في عهد شارل حلو .

عندما استقال حسين الحويني (آب ١٩٦٥) بعد ان نال اوسع ثقة نائتها حكومة لبنانية منذ الاستقلال (٩٣ صوتا على ٩٦ صوتا فعليا) افتتح الشهر مسرحيته البالية : الاستشارات . تراكت الشكل ، وزافات بوحدا ، وتلقت الباب وتعرضت الى بلهجة ثقة تجعل منها اوامر . اذا كانت الحكومة الاولى قد مثلت كل الجهات دون استثناء تقريبا (ازيح مذهب الوطنية والحرية : الوطنيين الامرار) في زمن كان فيه الطال الشهابي ما زال ماثلا ، فان الحكومة التالية لا بد ان تكون اقل سمحا وسعة صدر . ورجعت ، وخلال الاستشارات ، اشياح الماضي ، وحسب صائب سلام نفسه رئيسا للوزراء . ولكن الصيغة التي قرأ الرأي عليها (واذا كان الرأي قد قرأ فلا مستقبل الحكم وتمت المباشرة كانت حاضرة واضحة) استجدت حلا لم تعرفه السياسة اللبنانية من قبل . على رأس الوزراء برلماني قديم يمثل تيارا نابيا كثيرا يتصرف فيه على بعض المصالح والنفوذ التي تربط افراد ، وبينما تتالف الوزارة من اشخاص اعدوا صفة " الفنية " او " التقنية " دون ان يتفق ذلك دائما مع واقع الحال . كان الحساب الكامن وراء هذه الصيغة واضحا : اذا كان من الصعب ايجاد تيار غالب في المجلس النيابي (ولذلك اسباب اساسية تعوقها) ، واذا كان يصعب التصرف وكان المجلس النيابي غير موجود ، فان المنى بين تشكيل نايبي ضيق يتجسد في شخص يعرض بصورة مختلف المصالح المتصارعة وبين جمار وزاري يتدرج بالصفة الفنية لينفي على اعماله صفة الحياد والعلم بينما هو يمثل الحسيلة الفعلية للتيارات اللبنانية

(حقيقة لم يعد المجلس النيابي قادراً على تمثيلها) ظهور وأنه الحق . ولم يفت الحكم دلالة هذه المبادرة فاستعجل وقدم ، على يالوزارة الجديدة ، مشروها اعتبره وأكد على اعتباره بأفورة مبادراته في الحقن الذي اطلق عن عزمة على اختياره ميدان اختبار الحقن الاجتماعي والاقتصادي ، هو مشروع الـ ٢٢٢ ليرة لبنانية ، كقسم اول من مشروع السنوات الخمس الذي نتجت دراساته الاعدادية عام ١٩٦٥ . هذا يعني ، كما يردد التثوقراطيون بلسان التثوقراطية الشهابية ، ان مهمة الوزارة هي الحكم الفعلي على ما يجب ان تفعل من ارادة يصرح بها انما هو ان ادارة رشديتها ، وببساطة من المجلس النيابي ان يقع بدور تمثيل التوازن الطائفي واللحبة الديموقراطية ، اي ان عليه ان يكون وسيما وابكماً . وتوزيع المهام هذا هو من صميم التخطيط الشهابي لرأسمالية "عربية" اي لرأسمالية تقوم على مواجهة اختلال الاقتصاد اللبناني ، وفي الداخل ، واتجاه الانظمة الحزبية الى سياسة تنسيق اقتصادي عربية ، في الخارج . ولكن التخطيط راجع خلال فترة حكم فؤاد شهاب نفسه ، وفي الفترة اللاحقة ، وعجز مثلي المصالح الرأسمالية اللبنانية عن صياغة سياسة شاملة تتجاوز المصالح الضيقة لكل فئة ، كما تتجاوز الانفصال ما بين اصحاب النفوذ الاقتصادي واصحاب النفوذ السياسي . لذلك اضطرت الدولة الشهابية ان تفرض هذا الدور حتى على المنتفعين منه (والمعارضين له) . واتت المحاولة الكرامية الاولى لتوازن بين المتطلبات المتناقضة في ظل حكم ضعيف ، ولكنه لا يملك الانفلات من المهام التي طرحها الحكم الشهابي على حكم لاحق .

ولكن للمصيغة البرلمانية في لبنان دعائما الذين يرون فيها المجال الاثمل لتحقيق "التوازن الدائفي" والمحلي (وارتباط الجانبين اصبح واضحاً) . هذا الاقتناع ، الذي يلعب دور التبرير والعكاس لواقع بسيط يلخص بالتركيب "البكوي" للتمثيل السياسي . فالنائب هو الممثل العائلي والدائفي والمناطقي والمصلحي دون تمايز (لا يقوم بدونه تمثيل سياسي فعلي) . مما يؤدي الى وضع يجعل منه صلة الوصل اللازمة بين من يفترض فيه تمثيلهم والسلطة المركزية . ولكن صلة الوصل هذه لا ترتفع على مصالح محددة متشابهة مع مصالح اخرى ، وانما على اعتبار المنطقة او الدائرة وحدة مغلقة تربطها بمثلها او اصر فريدة تجعل من الممثل (اي النائب) حامل علمها الموكل اليه امر اقتناع حصتها من الوليمة (وظائف ، طرقات ، ماء ، مدارس ...) . لا شك ان قاعدة هذا الدور ، او حتى هذا الدور ، قد تلاشت : فالاقتصاد اللبناني اقتصاد سوق كامل لا مكان فيه لعلاقات غير نقدية ثم هو سائر يوماً بعد يوم الى تكامل وتماسك شديد بين انطلاقة من قاعدة مركزية هي سيطرة رأس المال التجاري - المصرفي . هذا يعني ان انعزال الانفعالات السياسية ظاهرة متأخرة عن القاعدة المادية (الاسباب لا يمكن ان تجلوها سوى نظرية ماركسية للتاريخ العربي المعاصر) . من هنا "عدم الوفاق" المعلن بين الشهابية ، من ادعائها بناء دولة "عربية" اي ادارة تملك تلبية حاجات رأسمالية مسدسة ، وبين "كلية الجنبنة" ، اي مثلي المناطق والعائلات والطوائف . ولكن عدم الوفاق لا يتعدى التناقض الجزئي والثاني . والشهابية ، والحكم الذي خلفها مؤقثاً ، وتترك تماماً خطر بلورة مصالح رأسمالية واضحة المعالم ، تملك ايد يولوجية متميزة وحزبا متماسكا لحمته هذه المصالح . وهذه الايد يولوجية هذا مؤداه ان يفسح الطريق امام الطبقات المضادة والمستغلة ، كي تلملم شتاتها على نفس الاسس : الثورة المضادة ، اذا لم تكن مقنعة تؤدي دائماً خدمة ثمينة للثورة ان تحدد امامها وجه العدو المبرح نال ماركس في مدخل "الصراعات الطبقة" . بذلك يبقى المجلس النيابي اللبناني الوسيلة التي تؤمن البعثة السياسية وتحافظ على الاطر المحلية والعائلية والطائفية ، ولكنه بذلك يحبس نفسه في هامش الحياة الاقتصادية والتشريعية (لا سيما ذات الصلة بالاقتصادية) ليفسح المجال امام قوة جديدة كانت جديدة منذ عشر سنوات تقريباً ، ولدت من الادارة بالادب ، وبما فيها الجنبنة ، تتولى مهمة صياغة الاطر الجديدة للرأسمالية اللبنانية ، سالبة من هذه الاخيرة الاشراف على الحكم .

هذا هو السياق الذي يفسر الحكومة الكرامية الثانية (الحالية) بعد تجربة برلمانية انتهت بحساب فاشل ابرز نشاطه "انترا" والتسدي للارزعة الناتجة عن توقفه عن الدفع . ولكنه يفسر في آن واحد تشكيل الجنبنة الديموقراطية البرلمانية . كان قيام كرامي بأعباء رئاسة وزارة مؤلفة من فنيين غير نواب دون "قالة" برلمانية محلقة ، واضحة ، لا مجال للمخاض في صحتها ، امرا يخرق التقليد البرلماني ، وبالتالي يفرق الشناخ البرلماني امام الجماهير وامام النواب أنفسهم بشكل يتعارض مع ضرورة الحفاظ على سمات الامان . فبرز انجل الذي يوفق بين المتناقضات : ليس رئيس الوزراء برلمانياً كغيره من البرلمانيين ، ان انه ليس الطرابلسي المنزمن ، وريث ابيه السني ، وزعيم كتلة تتساوى وغيرها من الكتل (كتلة الجنوب ، عكار ، بعلي بك ...) . وانما هو ممثل جبنة ينهوي تحتها عدد كبير من النواب (اقل من النصف بقليل) . ينتمون الى كل مناطق لبنان ، والى كل اوائفه ، ومن ناحية ثانية يستلج الحكم تحريك الدمى "الفنية" دون ان يلقي محارضة او هوائت داخلية صعبة . اذا كان هذا لا يعني ان الحكم يستلج ان يتجاوز المصالح المادية الفعلية للرأسمالية وحدود هذه المصالح ، اي انه اذا كان لا يستلج فرض حلول تتعارض وتركيب الاقتصاد اللبناني (وليس شمة ما يدل على ذلك) وبالتالي يرضى بهذه الحدود وهذا التركيب ، فانه يلجج مهمة اساسية هي ايجاد البنية السياسية المتباعدة والمواقة للتركيب الاقتصادي دون تعريض هذا الاخير لتهمة قاصمة .

ان تتبع الروابط التي تشد ظاهراً الحكومات الغنية الى الشمالية يؤدي الى تحليل موقف اليسار (يسار "الجبهة") من هذه الحكومات ومن ادعائها . اذا كانت الموجة التجديدية قد مضت منذ فترة (سنتين ونصف تقريباً) رحلت محلها ، وان بدرجات متفاوتة ، تحفظات واستدراكات ، فان المنظمات الشمالية لم تمنح ، وكذلك الاحلاف التي تربط اليسار ببعض الفئات الشمالية . وعودة الموضوع الى بساط البحث ليس احياء لما مضى عتيق (عتيق فعلاً ؟) وانما مشروعي بالنقش الذي لا بد ان يدور على عتبة انتخابات قريبة . هذه الانتخابات لا تتبع اهميتها من كونها الطقس الدوري للتزوير وانما من تصميم الفئات الشمالية على جعلها اختباراً او اعادة للمعركة المقبلة عام ١٩٧٠ ، معركة انتخابات رئيس الجمهورية التي تحدد مصير الاتجاه الشمالي ، على الاقل كما تتصوره الفئات الشمالية الحالية . لذلك فان الموقف من هذه المعركة هو ، ضمننا او علنا ، بداية طريق سياسية طويلة تقرر لسنوات علاقات الطبقات المستغلة (بفتح الفين) بالسلطة وبالتالي امكانات استقلالها السياسي ومقدرتها الفعلية على ان تشكل قيادة الحقل الاشتراكي بوجوهه المختلفة .

في الاشهر الاخيرة حظيت الحكومة الحالية ، النموذجية ، بوضع قل ان حظيت بمثله حكومة لبنانية سابقة : مجلس نواب غائب ، معارضة مفككة تجهد عبثاً لتستدي لموقف جامع ، ظروف عربية وعالمية لا تشجع على "الفاخرة" لن نرجع الى المواقف السياسية ، ولا سيما العربية ، التي تبنتها هذه الحكومة التي تنسف ، اساساً ، كل وهم حول "وطنية" العناصر التي تتكون منها ولا سيما رئيسها الذي يبدو انه يمثل "بورجوازية وطنية" من حنف غريب . فالجانب الذي يعنينا هنا هو الجانب الذي يلقي الضوء على النهج الاقتصادي الذي يوفر الاستمرار في العمل ويكشف ، بلا مواراة ولا الفاظ ، السوية الفعلية للحكم .

١ - بالطبع ، لا بد من البدء بصفحة "انترا" . اذا كان من الصعب التكهن ، منذ الآن

بالخفايا التي صاحبت العملية والتي تتعلق بمراع المصالح الخاصة ، وارتباط هذه المصالح باطراف خارجية متصارعة تلتقي كلما عند تمثيلها للرأسمال الغربي ، فان استنتاجات عامة واساسية اضحت ممكنة . كانت الصفقة اختباراً لقضية متكررة ، ولكنها لعبت دوراً هاماً في السنوات الاخيرة ، هي قضية تدخل الدولة في ركاب رأسمالية الدولة التي اجتاحت المنطقة العربية ، رأت اطراف اليسار اللبناني في رقابة الحكومة او امكن رقابتها على بعض النشاطات الاقتصادية ايذانا بطغوك الاقتصاد اللبناني طريقتاً "لارأسمالياً" وتصورت طريقاً لبنانية للاشتراكية "ترتكز على بعض التأمينات" . في صفقة انترا كان المرجح الحاسم في الامر هو ممثل الدولة ، حاكم مصرف لبنان بالوكالة وشهابي عريق هو الياس سرקيس . ولكن ذلك لم يحل اطلاقاً دون فتح الباب امام رأس المال الاميركي ، مستترا يدور الخبير . ورأس المال هذا ، عدا انه يستبد الى وزارة الزراعة الاميركية ، فانه يكمل في الواقع سلسلة من الحلقات التي تعمل على ربط لبنان وشييده : فالحلقة السابقة التي تكلمنا الحلقة الحالية هي قرض القمح الاميركي ، اذ ان المساهمة التي تكتب بها الشركة الاميركية لا تعدوان تكون ثمن القمح الاميركي الذي تمت صفقته السند الماضي . هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، كان قد مثل الطرف اللبناني في صفقة القمح بنك التسليف المختلط (مختلط) ولكن اليد الطولى هي للطرف "الخاص" بطرس الخوري . اي ان الدولة لا تكفي بالاحجام عن حماية "استقلال" الاقتصاد اللبناني (استقلال لا وجود له الا في ذهن الحالين) وانما توكل "الاستفادة" من الرقابة الاميركية الى الرأسمال الخاص ، بكرم كبير . ولكن هل نتج ذلك عن شيطان فذ يحاول الايقاع بالعدراء اللبنانية ؟ سخن "الطنخة المالية" مثلاً ؟ أليكون الاتفاق خسارة عابرة او تراجعاً عابراً خسرت فيه قوى الخير "الوطنية" ، واليقظة ابداء والمساهمة دأماً على "استقلال" اقتصادنا ، جولة واحدة دون ان نخسر المعركة ؟ ان تتبعنا بسيطراً لمرآجل عقد الاتفاق يوضح جانباً حاسماً لم يكن يوماً خفياً ، هو ان الطرف الذي جعل الاتفاق ممكناً والذي كان منوطاً به امكان عقد الاتفاق او ابطاله انما هو الطرف الكويتي ، ومباركته الافاق هي المسخرة التي بنت عليها امرة "ثيدر" رابطة . ماذا يعني ذلك ؟ بعض اطراف اليسار تردد يومياً ، وهي مهيبة تماماً في ذلك ، ان ازدهار الاقتصاد اللبناني قائم على وضع عابر هو هجرة الاموال النفعالية ، والخدمات التي يقدمها لبنان للمنطقة العربية . ولكن هذه الفئات تستنتج ، في آن واحد ، "وطنية بورجوازية" او عناصر سياسية تمثل في الحكم قطاعات مرتبطة بهذه الهجرة وهذه الخدمات . كيف يمكن ذلك والاموال العربية تملكها فئات تحكم وطمعها مستند الى حيط رأس المال الاستثماري ، اميركيا كان ام انكليزيا ؟ أليحتمل ان تنقلت هذه الاموال من سياسة الحماية الاستعمارية ؟ بالطبع لا . لذلك ، عندما طرح امر اختيار السيففة التي تحافظ على مصالح المودعين كان لا بد للمال الكويتي من التوجه الى الحل الذي يخدم مصلحته : رقابة رأس المال الكويتي وضمانته . اذا كان الاقتصاد اللبناني مديناً بازدهار له للاموال والخدمات العربية وهذا ما لا شك فيه ، فعلينا ان نستنتج امراً بديهيّاً ، هو ان حدود السياسة "الوطنية" في لبنان ايا كان شكلها في الحكم ، مبرهونة بمصلحة الفئة المهيمنة ، التجارية ، المصرفية ، وارتباطاتها العربية والمالية . هذه الفئة ليست "طنخة" كما يقول الحزب الشيوعي في افتتاحياته وبياناته ، وانما هي الطرف الذي يربط به اقتصادياً ، وإلى حد بعيد سياسياً ، الاطراف الاخرى . وسيطرتهما في نظر

الثالث الاخرى، وأكانت راضية أم لا، هي شرط استمرار الوضع اللبناني و"دعائمه" (وهي الكيدة في نظر هذه الفئات ولا سيما الشمالية منها) . ازاء هذه الارتباطات وهذه الحدود لا يجدي التعديل بوزر ولا بمسرحان ولا بقانون اجتماعي مهما كان ايجابيا . عندما يعين الجدل يختار كل طرف حربه ومن البديهي ان حزب اليسار هو الجماهير الكادحة !

٢ - اذا كانت هذه هي سياسة الدولة في معالجة ازمة هزت الحياة الاقتصادية في لبنان فان لهذه السياسة امتدادات في معالجة الامور الاقتصادية العادية . ومبادرات الدولة ، دولة "الفنيين" تتسم بطابع اساسي هو سعيها الدائب لتنظيم الرأسمالية اللبنانية ، وذلك بأقل كلفة ممكنة تدعى هذه الرأسمالية . والعمل التشريعي في المجال الاقتصادي بنوع خاص ، دليل ساطع على قوة الدولة اللبنانية الحالية ، وذلك مهما سمحت التسميات ببعض عناصر هذه الدولة .

أ - عندما تتعرض بعض القطاعات المزدهرة لصعوبات ناتجة عن ظروف معينة ، طارئة او دائمة ، تلجأ الادارة لتعرض على الاقتصاد ، الذي يصبح الاقتصاد الوطني ، خدماتها . بعد

هـ حزيران اصاب الصناعة اللبنانية التي تصدر الى الاسواق العربية ، ومنها السوق الاردنية وفرة ، بعض الشلل . لم تتوانى وزارة الاقتصاد باتخاذ قرار بمساعدة المنشآت الصناعية "المنية" التي تتعرض لضائقة عابرة . بالطبع برر القرار بمصلحة العمال ، وذلك بحجة ان المساعدة هي ضمان عدم الصرف . ولكن تنفيذ القرار تم بحزم سياسي اضحاف الحزم الذي استعمل في مراقبة التسريجات وفي الرد بين المساعدة والتعهد بعدم التسريح نظريا ، لفظيا .

وفي آب ، لما بدت علامات الضائقة السياحية ، ورغم تعمد النقابات العمالية (بما فيها الاتحاد الوطني للعمال والمستخدمين) بقبول تخفيض اجور المستخدمين الى النصف مقابل عدم التسريح منحت الدولة ٥٨٠ الف ليرة مساعدة لمؤسسات لا تملك الدولة اية رقابة على دخلها في السنوات السنية . واذا اصاب الضائقة اياها المشتغلين (اي المنتفعين) بالزراعة ، اعلنت الدولة منحة ليرتين للمندوب المصدر وليرتين ونصف للمزارع . هذه الاجراءات الجزئية ترفد الدولة بمشاريع عامة تبرر جانباً اساسياً مما يدعى ، ادعاء ، سياسة تنمية . ففي النصف الثاني من تموز درس مجلس الوزراء مجموعة من المشاريع المستعجلة : جسر نهر بيروت ، توسيع المرفأ ، المساكن الشعبية ٠٠٠ تبلغ تكاليفها ٣١٠ ملايين ، وذلك لتنشيط الحياة الاقتصادية ، اي ، عمليا ، لمد الملتزمين ومستوردي ومنتجي مواد البناء بسيولة كافية تسمح عن طريق العمال واجورهم باحياء سوق خامدة . وبلغت الحماية بالادارة ان انجزت في مدة تقل عن الشهرين شروط تلزم قسم من المشاريع ببلغت تكاليفها ٤٠ مليون ليرة . ان ما يسمى تنمية وتخليص لا يكشف عن وجهه في الحالات الحرجة "تطعما" للسوق الرأسمالية عند نزولها ، ومساعدة في الاحتفاظ بمستوى متجانس في النشاط الاقتصادي : العروضة ، التعريف ، الاستثمار ، العمالة ٠٠٠ هذه الأخيرة على السوق الرأسمالية تنقلب في الاداعة وعلى صفحات الجرائد (وبعضها سياسي) ، غير على الطبقة العاملة ومحاوله توزيع عادل للثروة (١) وتوفيرا للعمل (وكان العلاقة بين العمل والاستغلال غير موجودة) .

في مجال آخر ، صناعة النسيج ، تتحسس الدولة لحماية النسيج اللبناني وتفرض زيادة في الترفة الجمركية على بعض السلع المستوردة تبلغ ١٠ ٪ . ما وجهه استعمال الزيادة ؟ منحة تشجيع الدنايين الذين استلما تصدير منتوجاتهم الى اسواق خارجية ، وذلك بسبب تراجع قيمة الصادرات اللبنانية خلال الاشهر السبعة الاولى من السنة بقيمة مليون ليرة . اي ان التراجع لا يتعدى ٣ ٪ في اسوأ الحالات ، اذا قسنا الامر بقيمة صادرات عامي ١٩٦٦ التي بلغت حوالي السبعين مليونا (حسب تقرير المصرف المركزي لعام ١٩٦٦) . ومع ذلك ، فالامر اكثر متديا . اذا كانت الحماية الجمركية تفرض زيادة في التعرفة على سلع متنوعة تتراوح بين الخشب ومعدات التصوير (قرارات رقم ٢٢٤٠ - ٢٢٤٨) فان السلطة التي تريد السلطة حمايتها الصناعة اللبنانية منها ليست السيارات ولا حتى الصورتذكارية وانما سلعة خبيثة هي النسيج السوري (١) الذي يبدوان سوريا تبنيه في السوق اللبنانية بسعر اغراق ، يزاخم الصناعة اللبنانية في توجيهها الى المستهلك المعدم . ورد الحماية قاطع ليرة ونصف الليرة زيادة على كيلو النسيج السوري ، اي بنسبة ٤٠ ٪ في بعض الحالات ، بينما لا تتعدى نسبة الزيادة المفروضة على الالماس العام ٢ ٪ !

ب - في المجال التشريعي لم تبخل السلطة على عدد من القطاعات الرأسمالية بتشجيعها وحمايتها ، ولا ان كان ذلك بدرجات متفاوتة . ففي مرسوم تنظيم الصناعة اللبنانية الذي يشكل تلخيصا لعدد من المشاريع والقرارات السابقة ، عدد من الاعفاءات الضرائبية عن التحسينات والتوسيعات التي يدخلها الصناعيون على منشاتهم . ويتوق الاجراءات مجلس تنمية صناعي تابع لوزارة الاقتصاد التي على عاتقه مهام متابعة الموضوع وتقديم الاقتراحات ، ولكن تشجيع الصناعة لم يدفع بالمشروع الى حد الفاء الاجازة السابقة لاستيراد الآلات . وهو من المصالب الاساسية الرامية لتشجيع الصناعة . ولكن اذا كان حظ الصناعة من التشجيع بسيطا ، نسبيا ، فان حظ المصارف والتجار اوفر بكثير . ففي قانون تنمية المصارف (رقم ٧٧٣٩ بتاريخ ٧/٨ / ١٩٦٧) ان كفايد المسؤولين تستتبع نقل مسؤولية المصرف المتوقف الى مصرف التسليف الزراعي والصناعي والعماري (الذي اصبح من محار

السياسة اللبنانية) وما لا يسمح لأطراف خاصة أن ينتمي إلى القطاع الخاص من ١٠ شادة من مختلف العمليات التي تصاحب التنمية، وليس أطرافا توزيع الحصص على يد مؤسسة تلعب دور المركز الذي يجمع حوله قوى تشكو من بعثرتها وعدم التنسيق فيما بينها. لكن ذلك لا يعني إيقاع الخسب بأصحاب المصرف. المقبل على التصفية، فتتدبر من أسهم المصرف، من اجنبية ولبنانية، لا يتم، كما في أكثر القوانين، وعلى أساس السعر في اليوم السابق لقرار التصفية أو التوقف عن النشاط، وإنما وفق جدول أسعار المبادلات في البورصات خلال الأشهر الثلاثة السابقة للتوقف (للاسهم الاجنبية) أو خلال سنة (للاسهم اللبنانية). هذا يعني أن المصرف الذي تنتهي به سياسة المسؤولين عنه إلى دماره، لا يلقى على أساس تحميل المسؤولين مسؤولية سياستهم وإنما بأعطائهم، قدر الامكان، فرصة الاستفادة من الفترة السابقة لبروز النتائج السيئة التي أدت إلى التصفية. والمصارف هي الطفل المدلل في نص تشريعي آخر يتعلق بدمج المصارف، يرمي إلى تشجيع اجراءات من هذا النوع تؤدي إلى تكوين مؤسسات كبيرة تستطيع الاسهام في ازدهار القطاع الصناعي والصمود في ظروف صعبة، تحفي الدولة المصرف المندمج من ضريبة دخل السنة السابقة على الدمج، كما تعفي المصرف الجديد، وذلك لسنتين من نفس الضريبة، إذا نقص رأسماله عن ثلاثة ملايين، كما تعفيه سنة إذا كان رأس مال أحد المصرفين يزيد على ثلاثة ملايين. ويخفف النص إعفاء اضافيا إذا قرر (دون أن يتم) الدمج خلال الأعوام الأربعة اللاحقة على صدور القرار، أو نفذ بعد سنة من صدوره، ولا يبطل القرار بسنة اضافية (تضاف إلى السنوات السابقة) إذا ما اشترك بالدمج مصرف ثالث.

وتستفيد المصارف في مجال آخر هو إصدار القروض الداخلي الذي يتم بشكل سندات على الخزينة (أقر في اجتماع مجلس الوزراء بتاريخ ٢٧ ايلول ونفذ بسرعة) وقد بلغت قيمة السندات ٤٠ مليوناً صرح أحد المسؤولين أنه تم شراءها في ساعات، مما دفعه إلى التفاؤل بمتانة الاقتصاد اللبناني. ولكن المبادرة تتعدى المتانة لتفتح سجالاً جديداً في علاقة الدولة برأس المال المصرفي. حتى اليوم، كان رأس المال المصرفي يشكو من مجلات الاستثمار في لبنان ويتعطل بذلك. ليعبر عن هذه المجالات في التورصات العالمية. ولكن الدولة، بعد انقرا، وبعد الشح الذي حل بالواردات (شح نسبي) أن الواردات زادت ٧ ملايين ليرة عام ١٩٦٧ بالغة ٥٦٨ مليوناً) فتحت أمام رأس المال هذا مجالاً لم يختبره بعد، هو السندات. إذا كانت الملايين الأربعين رقماً زهيداً، نسبياً، فإن تداخل المصالح بين الدولة ورأس المال المصرفي سوف يجعل هذا الأخير في موضع قوة يستطيع منه املاء شروط تتعلق بالسياسة الاقتصادية للدولة، ولا سيما إذا كانت هذه الأخيرة عازمة، وهي لا تملك إلا العزم، وعلى متابعة سياسة زيادة مصاريفها ومساقتها في ما تسميه مشاريع التنمية وذلك في ظروف اقتصادية شبه راكدة. هذه المشاركة، ليست الحالة الوحيدة. بل هي قسم من اسلوب في معالجة المشاكل الاقتصادية. بعد اعتماد اسلوب التلزم في الاشغال العامة، جاء دور المساكن الشعبية. ولكن إذا بقيت الشراكة أوبقي الاختلاف في المبادئ لا يدخلان في رأس المال الموظف نفسه، وإنما تبقى في حدود تأدية الخدمات التي يقدمها القطاع الخاص ويستوفي ثمنها من الدولة، فإن المرسوم الاشتراعي رقم ٤٨ (الذي صدر عن السلطة الاستثنائية) الذي تنشأ بموجبه لجنة تصريف الفواكه، ويفتح مجالاً جديداً وصيغة جديدة للاختلاط والمشاركة، فرأس مال الشركة الجديدة مختلط لا ينبغي أن تتعدى حصة الدولة فيه ٣٣ ٪. تاركة الثلثين للباقيين للتجار والمنتجين بالتساوي. وقد عينت الدولة حداً أعلى لمشاركتهما لا ينبغي أن يتجاوز الملايين العشرة، مما يرفع رأس المال الكامل (في احسن الحالات) إلى ثلاثين مليوناً. في هذه الحالة كذلك تفسح الدولة المجال أمام القطاع الخاص، وليس فقط للاستفادة من مجال استثمار تحميمه، وإنما ليلعب دور الطرف الأقوى في لعبة دعي اليها ولكن ليلعب دور المضيد. ولكن الاستفادة المادية المباشرة لا تكفي. فتمثيل المصالح التجارية والصناعية إذا كان يتم على صعيد حقوقي ووطني عام فإنه بحاجة لتمثيل محلي، كما أنه يتطلب وجود هيئات لا شك في تمثيلها، أي تتمتع بكل ضمانات هذا التمثيل القانونية. لسد هذه الثغرة تصدر الدولة أياها مرسوماً اشتراعياً (بموجب السلطات الاستثنائية) رقم ٣٦ يعيد تنظيم غرف التجارة والصناعة. لا يقتضي المرسوم إعطاء هذه الغرف صفة تمثيلية تستطيع، من هذه الزاوية، حمل رأي التجار والصناعيين المنضمين اليها وإعلان هذا الرأي في المجالات التي تهم الرأسمالية اللبنانية، وأخيراً يضيف المرسوم إلى هذه الصفة "النابية" صفة "دستورية": عدا جمع الاحتماءات والمعلومات، وعدا الصفة الاستشارية، تتمتع الغرف (واتحادها العام) بصلاحيات الفصل في خلافات تعرض عليها من قبل الاطراف المتخاصمة، وبصلاحيات تسجيل أسعار وأقارها، وإعطاء ضمانات عن مصادر السلع المعدة للتصدير، وعن التجار ومراتبهم والموافقة على توقيع المعاملات الادارية. بذلك تساهم الدولة مساهمة ترجوان تكون فعالة وهامة. والام تولد شرف مرسوم اشتراعي، وفي إعطاء الرأسمالية اللبنانية ما يسمى "السلطة" أي الوحي بالانتماء إلى فئة متجانسة المصالح أو، ببساطة، الوحي التطبيقي.

١ - تتفق الدولة بسياساتها الاقتصادية بتأخير ارتباطها بالاستثمار العالمي ولا سيما الأمريكي . فقد توالت التصرّيات الرسمية في شهر آب تؤكد قبول المصروف الاقتصادية بالتراضي (كورس دي لوران الفرنسية - عدد ٨٤) . ولكن ما إلى السلحق التجاري السوقياتي عن عنم الاتحاد السوفياتي على المساهمة في الخروج واحد المسؤولين التشيكيين عن استعداء تشيكوسلوفاكيا لاقامة سفارة البترول الثالثة على أن يتم الدفع كما ترتأي الدولة ، مالا او بضائع ودون تحديد المبل (الواقع ان المبرهن هدية مهندبة) حتى انقلبت تصرّيات الدولة وذلك في غضون اسبوعين لا اكثر . واذا بالمناقصة في السبيل الوحيد لقبول الهدية ١ وبعد اسبوعين اعلن عن مساهمة الشركات الاميركية في تمويل القرض الخارجي كما اعلن عن " نجاح " مساعي سفير لبنان ، في باريس ، في اقناع فرنسا باعلاء قرض يستجدي منذ سنتين .

ان ما سبق لا يلخص بالطبع جوانب السياسة الاقتصادية التي تتبعها الدولة . وانما يدل على المواطن التي يبدو انها قابلة لان تشكل عناصر سياسة متكاملة ومتناسقة في مستقبل قريب . اذا صح التحليل فان اللقاء بين الوزارة " الفنية " وهذا العدد من القرارات والدراسيم التي ترمي كلها اما الى اقالة عدة الرأسمالية اللبنانية ، واما الى حملها على لم شتاتها وتشكيل وحدات فعالة ، اقتصاديا ومهنيا ، ان هذا اللقاء ليس عابرا ولا هو وليد الصدفة . ولكن التحليل السلبتي لا يحسم مشكلة اساسية في النقاش هي مقدرة الرأسمالية اللبنانية على الانضباط في الاطر التشريعية التي تقدمها لها الدولة ، وبشكل اصح حدود هذه المقدرة (والجواب على الجانب الثاني يحدد ، الى مدن بعيد ، خط الحبل السياسي في لبنان خلال السنوات المقبلة) . ولكن الامر الذي يعنينا مباشرة هو هوية الحكم الراهن مستقبله . اذا صحت الاستنتاجات التي عددناها في القسم الاول والتي تقدم لها الاستعراض الاقتصادي قاعدة وامثلة ، فان مواقف اليسار الجزئية والمتردة التي تدق النفير في موعود الضمان الاجتماعي وتحجم عن السياسة العربية ، تقيم مهرجانا للفراغة والتعليم وتبطل التصرّيات العمالية وقضايا سوق العمل عامة ، تمنى الازدهار اللبناني ولا ترى من يستفيد من الركود سوف تفاجأ في غضون سنتين او ثلاث بفضة تعالج الامور بشدة لا يبقى معها مجال حتى للمواقف المخجولة الحبيبة . هذا يعني ان هجوم الحكم لا يتم في نقلة واحدة وانما يعمل على تجهيز الجبهة الرأسمالية ببنى تعطيها مناعة عامة تمكنها من الصدي للتناقضات القاسية التي تعتدل منذ اليوم (منذ زمن) في داخلها . وبالتالي لا يمكن للجواب ان يتسلى بانتقاء " الجوانب الايجابية " من تبين الوضع العام ، وانما عليه ان يكون بنفس الشمول المواجه ويمتد للمشاكل البنوية التي تعيق نضال الدايقات المستغلة : التنظيم السياسي ، التنظيم النقابي ، البرنامج الذي يحدد مطالب معيشية ومطالب سلطة ومراقبة عمالية هذه المشاكل لا تواجه في نائنة مخلقة وعامة وانما في اعلاء اجوبة محددة ترتكز الى ماركسية صريحة .

تحدد الموضوعات التالية سائر العناصر الأساسية التي تكون ابعاد المعركة وتصف بالتالي مخطا عاما ينبغي ان يوضع عليه العمل الثوري العربي ، في مواجهة العدوان . لكن هذه الموضوعات لا تريد لنفسها ان تكون بديلا عن المتابعة التحليلية الناشطة لتفاصيل الموقف ، كبيرها وصغيرها ، ولا هي تدعي كونها موقفا متكاملا السمات . كل ما تبغيه هو ان تكون من الملقا واسع الملامح للمتابعة . والموقف المذكورين ، اللذين يجد القاري جوانب منهما في صفحات لاحقة من هذا العدد . في دراسة الاجتهاد .

١ - ما هو الاطار المحدد الذي يطرح ضمنه موضوع المعركة ؟

ث من ناحية هناك الصراع العربي - الازرائلي الذي ، وان كان ذا جذور مرتبطة بالاستعمار وتوسعه في اوائل القرن ، فانه يتخذ طابعا مستقلا (نسبيا) عن العلاقة مع الاستعمار . مما يعطي اسرائيل وزنا خاصا يطبع الصراع بينها وبين العرب بطابع وطني ، قومي ، يملك ، في حدود العمل السياسي والايدولوجية ، دينامية خاصة . ولكن الاستقلال كما سبق ، نسبي . فالصراع العربي الازرائلي تزداد حدته واحتمالات الدمار الفعلي ، في حالات المواجهة بين الطرف الازرائلي والطرف عربي متقدم (مصر ، سوريا) . فالدول العربية المتقدمة تتميز ، اساسا ، بانجاز ثورتها الوطنية او بالتصميم على هذا الانجاز . وحدة الصراع بينهما وبين الطرف الازرائلي قائمة على انتقاض الوجود الازرائلي من الثورة الوطنية ووصفها بالعجز والقصور .

- من ناحية ثانية ، تمر العلاقات بين الاستعمار العالمي (الولايات المتحدة الاميركية)

والبلدان المتقدمة في مختلف اقطار العالم الثالث في مرحلة تخلى فيها الاستعمار عن التعايش (او حتى المباركة) مع انظمة تخن عن حلقة السيطرة المباشرة (السياسية) دون كسر الاطار الاقتصادي التي التي يفرضها التبادل الدولي والسوق الرأسمالية العالمية . فقد استعاد الاستعمار الاميركي موقفه الهجومى الهادف الى استرجاع سيطرة مباشرة على البلدان المستعمرة سابقا ، او حتى على بلدان اوربية متأخرة ، على اثر عجز الكتلة الاشتراكية وحركات التحرر عن ايجاد استراتيجية موحدة تفكك السيطرة الاستعمارية . اي ان سياق الصراع العربي - الازرائلي هو سياق تقاطع خطين مرتبطين دون اندماج :
+ الوجود الازرائلي يتطلب انظمة متأخرة .
+ الاستعمار يرفض ما من استقلال الثورة الوطنية .

٢ - حدث العدوان العربي الثالث على الاقطار المتاخمة لاسرائيل ، ومنها دولتان متقدمتان

سوريا ومصر ، وانتهى الى انتصار خاطف لا يمكن ان يفسر بأسباب عسكرية وبمعزل عن العناصر السياسية التي تلعب دور المحرك والموجه . واذا كانت المواجهة قد حدثت على حدود الاقطار المحيطة مباشرة بـ اسرائيل او داخلها ، فان هذه الاقطار تلعب الجبهة الامامية في معركة من البين انهما معركة الاقطار العربية بلا تمييز . ولكن الجبهة الامامية لم تكن متماسكة : ففي موضعين على الاقل هما الاردن ولبنان ، تقوم انظمة متخلفة غير صالحة اما لخوض المعركة اساسا (وهذا ما فعلته) ، او انهما اضلرت لخوض معركة قاسية وباهظة حفاظا على مصالح فئة ضيقة ذات علاقات حميمة بالاستعمار . هذا على الجبهة . اما وراء الجبهة فتقوم غالبا انظمة بالية تتوكل على الاستعمار العالمي الذي يرى فيها ضمان استمرار لا استغلاله الفاحش لشعوبها . هذه الانظمة ، التي غالبا ما حملت قضية فلسطين لفظيا تواجه على ارضها الفئات الوطنية التي اعطتها الانظمة التقدمية نموذج نظام للحكم ، والتي تعدد التبعية الكاملة للاستعمار والاستئثار الكامل بالعائدات الناتجة عن تغطية النهب الاستعماري ، مما يجعل مشاركتها في معركة طويلة وحادة مع اسرائيل وحمايتها امرا غير محتمل لانه يفرض قيادة للمعركة تجردا من دورها وتفسح مجالا امام الفئات الوطنية للاستيلاء على الحكم . لذلك ، كانت هذه الانظمة طوال المعركة الاخيرة تلعب دورا متواطئا مع الاستعمار ، مفككة تماسك الجبهة العربية الداخلية ، مقدمة مصالحها الطبقة الخاصة على متطلبات المعركة . هذا الدور ، الذي تمليه تبعية الانظمة المتخلفة للاستعمار ، هو شرط استمرارها ، ولكنه كذلك شرط استمرار العدوان الازرائلي .

٣ - ولكن الحوائق التي يفرضها وجود انظمة متخلفة لا تشكل ، وحدها ، تفسيرا واقيا

للهمزة . فقد رمت اسرائيل بثقل المعركة على النظام الرائد في المنطقة العربية ، النظام الناصري ، دون ان يقوى على حمله . خلال السنوات العشرة الاخيرة حولت التأميمات المتتابعة القيميين على السلطة السياسية الى نواة برجوازية دولة تسيطر ، من خلال امتلاكها لمظاليد الحكم ، على الفئات التي يوفره الانتاج ، وتستملك هذا الفائض على حساب متطلبات الانماء وبناء القاعدة الاقتصادية . كما فرضت هذه الفئة حاجاتها على الاقتصاد الوطني ، فارضة سد هذه الحاجات كهمزة اولى . ولكن ذلك ما سر ليم دون خنق كل محاولة ترمي الى فرض رقابة على الجهاز العسكري الاداري (بما فيه الادارة الاقتصادية) تتمثل في تنظيم جماعي مستقل ، يمثل مصالح التحالف الطبقي الرئيسي في عملية البناء الاشتراكي (العمال والفلاحين) ، مما أدى ، رغم الاتجاه الوطني الذي تمثلته الحركة الناصرية والانظمة التي تحتذي حذوها ، الى البقاء ضمن دائرة السوق الاستعمارية العالمية التي توفر ، وحدها ، لبرجوازية الدولة الحاكمة حاجاتها الاستملاكية .

كما بقيت الدليقة الرئيسية التي تعطل الاستغلال والركود الاقتصادي : طبقة الفلاحين ، خارج نطاق العمل السياسي .

هذا الوضع خلف آثارا عميقة في كل المعارك الوطنية التي كانت المنطقة العربية مسرحا لها في السنوات الأخيرة : فقد أدى استقلال الناصرية للحركات التحررية الى تنصيب عناصر مترددة ، بروجوازية صغيرة ان لم تكن بروجوازية خالصة ، على رأس هذه الحركات التي عجزت حتى اليوم عن انتزاع نصر كامل في معركة ما ، كما عجزت ، في حال استيلائها على الحكم ، عن انجاز مهام الثورة الوطنية في الداخل .

٤ - في مواجهة الاستعمار العالمي ، وعلى رأسه الولايات المتحدة الاميركية ، كانت الانظمة العربية المتقدمة دائما مقيدة ، تلجأ لعلاقاتها الاقتصادية به ، كما يلجأ خوفها من بروز قوى اشتراكية حقيقية في الداخل ، عن صراع فعلي يهدد بنسف الروابط العديدة التي تربط هذه الانظمة بالاستعمار ، والتي تسهر عليها فئات واسعة داخل اجهزة الحكم ، تستفيد من هذه الروابط . في ظل هذه الانظمة بقيت جماهير ضخمة بمعزل عن الميدان السياسي . وانحسرت التعبئة بفئات ضيقة تطمح الى الافادة من المراكز التي اوكلت اليها . مما أدى الى اضعاف امكانات التنمية وارتفاع تكاليفها والى شل عملية تحويل الوعي الوطني الى وعي اشتراكي .

في هذا الموقف الوشطي لم تكن الانظمة المتقدمة قادرة على مواجهة هجوم استعماري ، سواء كان صريحا يستعمل العناصر الداخلية ، ام مواربا يستفيد من وضع متفجر في المنطقة كان قد ساهم في خلقه ورعايته . ولكن عجز هذه الانظمة عن المواجهة لم يؤد الى سقوطها ، كما حدث لانظمة اخرى خلال السنتين السابقتين . ذلك ان للمواجهة مع الاستعمار وجها ما زال يوفر للانظمة المتقدمة (او حتى المتخلفة) حماية شعبية فعالة . ترفض التخلي عما حققته الثورة الوطنية من استقلال . هذا الجانب الوطني) يبرز اكثر ما يبرز في الحالات التي تسرق قضية فلسطين ، القضية التي تلخص الثورة الوطنية على الصعيد العربي . ان ان عدم سقوط الانظمة المتقدمة (ومقاومة نظام متخلف كالحكم الاردني) هو نتيجة بروز الجانب الوطني من المعركة . وهذا ما فهمه تماما دعاة هذه الانظمة الذين اخذوا يدعون الى حصر المعركة في هذا الجانب بالذات . ولكن بروز هذا الجانب على حساب المضمون الطبقي والاممي ساهم في خفق استقلال القوى الاشتراكية واجل هذا الاستقلال ، فارتدت الى الصف الوطني ، القومي ، مخفلة وجها اساسيا من وجوه المعركة . فكان ان ضمرت المعركة نفسها بعد ان رجعت الى قضية تصفية أثر العدوان الاخير .

٥ - ان ما سبق يؤكد امرا يجهر به دون استنتاج ما يترتب عليه بوضوح كاف : اذا اصبحت قضية فلسطين قضية لا تتعدى النطاق العربي الى النطاق العالمي ينبغي مواجهتها على الصعيد الذي يوفر اماكن الحل . ولكن ذلك لا يمكن ان يتم الا اذا ادخلنا في حسابنا العلاقات الاستعمارية التي تحضن اسرائيل ، دون ان تقف عند حدود اسرائيل ، بل انها تحضن كل الانظمة المتخلفة والمصطنعة في المنطقة العربية . لذلك فالمهمة الاولى ، التي تؤجلها انظمة بروجوازية الدولة يوما بعد يوم ، هي اجتثاث الانظمة المتخلفة . غير ان دخول انظمة جديدة ميدان الثورة الوطنية لا يوفر الجبهة القادرة على الصمود . فالشرط الاساسي هو التعبئة العمالية والفلاحية تلك العبء التي لا تتم بالتأميمات ولا بالشعارات وانما بقيام هذه الجماهير ببناء حزبها الذي يحول دون استئثار فريق من العسكريين والفنيين والرأسماليين السابقين بالسلطة السياسية وفائض الانتاج كما تحول دون توجه جبهاني الانتاج والدولة لخدمة مصالح هذه النواة واتباعها عن طريق استمرار الارتباط بالسوق الرأسمالية العالمية .

اذا لم تكن النتائج التي آلت اليها نكسة ٥ حزيران حدثا سطحيا لا يمس اساس النظم الاجتماعية والسياسية التي لم تقو على مواجهة المعركة - وهي ليست قطعا هذا الحدث - واذا كانت معركة فلسطين في شطرها منها رهنا بالقضاء على العلاقات الاستعمارية ، الجلي منها والمقنع فان مواجهة النكسة هي في نهاية المطاف ، مواجهة كل القوى التي تعمل باشكال مختلفة على حبس الجماهير العربية في انظمة ، متخلفة او متقدمة ، ذات قاسم اساسي مشترك هو استغلال الفلاحين والعمال .

XX

١ - ان الكفاح المسلح هو موضوع الساعة الاول بالنسبة لحركة التحرر الوطني والاجتماعي في العالم الثالث . وهو مطروح حكما على حركة التحرر العربية . ليس بوصفها جزءا من حركة تحرر شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية وحسب ، بل ايضا وبشكل خاص لان موضوع الكفاح المسلح مطروح عليها عمليا . كونها تمر حاليا بتجربتين تعتمدان هذا الشكل النهائي (الثورة الوطنية في عدن والجنوب العربي ، والعمل الفدائي الفلسطيني) .

من هنا ، فلم يكن مستغربا ان تتخذ بعض ردود الفعل غير الناضجة لعدوان الخامس من حزيران شكل الدعوة الي اعتماد الكفاح المسلح شكلا وحيدا للنضال ضد الاستعمار ، على امتداد الارض العربية . خاصة وان الاشير الاخيرة شهدت الحوار المحصوم الذي اثاره مؤتمر تضامن اميركا اللاتينية والذي ختم جلساته بتبني شعار الكفاح المسلح كأعلى شكل من اشكال النضال .

تمهيد الملاحظات الاولى التالية الي الاجابة على السؤال التالي :

ما معنى رفع شعار الكفاح المسلح في المنطقة العربية في المرحلة الراهنة ؟ وهل هو فعلا المهمة المركزية لحركة التحرر العربية ؟

٢ - كيف يجب ان يطرح الماركسيون اللينينيون مسألة الكفاح المسلح ؟

ثمة ثلاثة تحديدات لا بد لنا منها لرسم الاطار الذي ينتظم طرح مسألة الكفاح المسلح .
اولا : في العنف . ان حجر الزاوية في النظرية الماركسية - اللينينية عن الصراع الطبقي

هو الفكرة القائلة " ان العنف هو القابلة التي تستخزن المجتمع الوليد من رحم المجتمع القديم ."

وتلخص هذه العبارة التحليل التالي : ان النظام الرأسمالي — أعلى وأخرا منظمة الاستغلال الطبقي — هو في نهاية المطاف توازن بين الطبقات تمل في الطبقة المهيمنة (مالكة وسائل الانتاج) ارادتها على مجموع الطبقات المستغلة (بفتح الغين) عن طريق احتكارها للعنف . وبما ان التاريخ قد اثبت ان ما من طبقة مهيمنة "تستقيل" من الحكم وتتنازل عن امتيازاتها وملكيتهما بملء ارادتها ، وبما ان الحل الجذري لقضايا العمال والفلاحين وسائر الكادحين لا يكون الا بسيلطتهم على جهاز الدولة فان تغيير نظام الاستغلال الرأسمالي باتجاه بناء المجتمع الاشتراكي اللاعنف لا يمكن ان يتم الا عبر مواجهة عنف الطبقات المسيطرة ، المثق أو السافر ، بعنف اقوى منه . ذلك هو الثمن الذي تدفعه الشعوب من اجل تقدمها التاريخي . وتلك هي ضريبة الحرية الاشتراكية . وعلى الرغم من النظام الاستعماري قد زاد في تعقيد الصورة ، بحيث أضحي العنف الذي تملكه الطبقات المستغلة (بكسر الغين) لا يقتصر على قواها الذاتية ، بل يشمل مجموع العنف لدى المعسكر الاستعماري بأسره (كما يتبين بوضوح تام من حربه الاجرامية ضد الشعب الفيتنامي) فليس موقدي ذلك الا التشديد على ما نقوله .

من هنا فالنقاش بين ماركسيين حول شكل نضال مثل الكفاح المسلح لا يمكن ان يكون نقاشا حول مبدأ المواجهة العنيفة لاسقاط أنظمة الاستغلال الرأسمالية الاستعمارية ، بل يصحى نقاشا حول ملائمة هذا الشكل النضالي للمرحلة الراهنة التي يجتازها وضع معين *.

تلخص هذه النقطة ولو على نحو مبسوط، الرد الماركسي - اللينيني على موضوع "طريق الانتقال السلمي الى الاشتراكية". - اشترط جدلا ان الديمقراطية العاملة في احد البلدان الاوروبية (نذكر البلدان الأوروبية لان هذه الموضوع تتوجه اليها بشكل خاص، ثم تعم هذا التوجه على العالم بأسره) نكت من رفع حزبها الشيوعي الى الحكم بمنحه اغلبيه برلمانية ساحقة . هنا تبرز مشكلتان لا بد من التعرف اليهما : ينبغي تحلیم جهاز الدولة البرجوازي واستبداله بجهاز دولة بروليتاري ، كما ينبغي تعبئة الجماهير وتنظيمها لصد الردة المضادة الثورة التي لا بد وان تعقب اي ثورة عمالية (ولن تقتصر هذه الردة على قوى البرجوازية المحلية بالذات بل تتعداها الى القوى الرأسمالية العالمية بأسرها . ولعل ابرز دليل معاصر على ذلك ما كشف النقاب عنه في الانقلاب الفاشي الاخير في اليونان - فالخطة التي نفذها العسكريون لتسلم الحكم هي خطة موضوعة من قبل الحلف الأطلسي منذ انضمام اليونان اليه ، والهدف منها التحريك لا مبقيا مكان انتصار القوى الديمقراطية او الاشتراكية انطاليا (اسطورة) وهكذا فالقوة التي تسلمت الحكم اسبقا تواجها بالخير والتأييد : اما ان تسقط واما ان تواجها بالردة . المسئلة لمعالج التناقضات المحلولة . هنا تكون التواجها الحقيقية بل اقوى التواجها قد حدثت على كل حال (على شكل حرب اهلية او حرب تدخل) ولكن بعد تسلم الديمقراطية العاملة للحكم شكليا (يتبع)

ثانياً : تعدد اشكال النضال والشكل الحاسم .

قال لينين عام ١٩٠٦ ، في معرض التحليق على بروز عصابات مسلحة في روسيا عقب اخفاق ثورة ١٩٠٥ (اتخذ عملياً شكل الاغتيالات الفردية والسرقات الجريئة لتمويل الحركات الثورية) :
" ان الماركسيه لا تقتصر ، بأي حال من الاحوال ، على اشكال النضال الممكنة او المتوافرة في مرحلة معينة ، بل تعترف ان اشكال جديدة ، يجب عليها المساهمون في تلك المرحلة ، ستولد حتماً مع تغير الوضع الاجتماعي المعني بالامر . بهذا العدد ، تتعلم الماركسية ٠٠٠ من ممارسة الجماهير ولا تدعي اطلاقاً تعليم الجماهير اشكال نضال تفق عنها ذهن " مفكرين " مخزولين في ابراجهم العاجية"

(لينين ، المؤلفات الكاملة ، الجزء ١١ " حول حرب الخوار " من ٢١٣-٢١٤) .

ان هذا النص الغني بالدروس والعبر ، يسمح بالملاحظات التالية :

— ان شكل النضال الذي يصلح كشكل رئيسي للنضال في مرحلة ما ، قد لا يصلح في المرحلة التالية (وتحدد هذه حسب تغير الوضع الاجتماعي الذي يعبر عن نفسه بتغير نظم العلاقات المتبادلة بين القوى الطبقيه) . ان اشكال النضال تاريخية ، مرحلية ، متغيرة . هي اسلحة الطبقات ، وتحدد حسب نوعية الطبقة التي تستخدمها مثلما تتحدد حسب المرحلة التي بلغها تطور الطبقة المعنية ونوع العلاقات القائمة بينها وبين سائر الطبقات .

— يصعب بل يستحيل احيانا التنبؤ باشكال النضال المقبلة . هنا اهمية " التعلم من الجماهير التي تسم اللينينية كنظرية للعمل بسمة اساسية هي سمة التكيف مع الممارسة . لناخذ مثلاً من تجربة

نعرفها : في عام ١٩٤٠ ، تظاهرت الجماهير الجزائرية ، بقيادة احزابها "الوطنية" ، بمناسبة ذكرى انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ورفعت بعض المطالب الاستقلالية . فكان جواب سلطات الاستعمار الفرنسي " مجزرة قسنطينة " التي ذهب ضحيتها حوالي ٤٥ الف قتيل . بعد سنتين من ذلك ادرك فلاحو منطقة القبائل درس " مجزرة قسنطينة " ، فراحوا يجمعون السلاح ويتوزعون الى عصابات لمحاربة الاحتلال الفرنسي انطلاقاً من الريف . وقد استغرقت العناصر الوطنية الثورية داخل الاحزاب " الوطنية " مدة سبع سنوات لكي تتعلم من الجماهير ، وتتكيف مع الممارسة ، فخرجت بالاستنتاج التالي الذي اندلعت على اساسه ثورة اول تشرين الثاني عام ١٩٥٤ : أ — شكل النضال المديني (تظاهرات ، انتخابات ، الخ .) لم يعد صالحاً للمرحلة الجديدة من النضال الوطني . ب — المهمة الراهنة هي طرد المستعمر ، وهذا لن يكون الا بالكفاح المسلح انطلاقاً من الريف (بوصفه اضعف حلقة في النظام الاستعماري) .

ثالثاً : ما هي اذن طريقة البت بامر شكل نضال ما ؟ الجواب ببساطة : التحليل المحدد

للوضع المحدد : " تتطلب الماركسية دراسة تاريخية كاملة لمسألة اشكال النضال . ومعالجة هذه المسألة

بعزل عن الوضع التاريخي المحدد تتم عن عجز في فهم بديهيات المادية الجدلية " (لينين ، المصدر ذاته من ٢١٤) .

من هنا والاسئلة التي ينبغي طرحها لمناقشة شعار الكفاح المسلح كأصلح شكل للنضال في المرحلة الراهنة ، هي التالية : ما هي التناقضات التي يتولى الكفاح المسلح مهمة تفجيرها لتغيير توازن القوى القائم لصالح جماهير العمال والفلاحين وسائر الكادحين ؟ من يتولى قيادة العمل

المسلح ؟ متى يعلن هذا الكفاح ؟ واين ؟ وبأي برنامج واية تحالفات ؟

٣ — كيف يطرح شعار الكفاح المسلح حالياً ؟

سنقتصر هنا على عرض نموذج واحد لكيفية رفع شعار الكفاح المسلح . كلنا يعرف انه ليس النموذج الوحيد ، لكنه الاكثر تكاملاً بين النماذج المتوافرة . لذا فهو اصلحها كمنطلق . والنموذج المعني هو البيان الصادر في اواخر تموز عن " الاجتماع الموسع للجنة التنفيذية القومية لحركة القوميين العرب " (الحرية ، الاعداد ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩) .

يعين البيان الاستعمار الجديد ، وعلى رأسه الولايات المتحدة الاميركية ، على انه العدو الرئيسي للثورة العربية في المرحلة الراهنة . ويتميز الاستعمار الجديد عن الاستعمار القديم

بانه اشد شراسة منه . لهذا تكون المرحلة الراهنة " مرحلة تحرر وطني تمهد للاشتراكية والوحدة

وتتمل بها " . وتعين الاستعمار الجديد عدواً رئيسياً يبين " الخطأ الاساسي " الذي ارتكبه

(تابع *) ان تسلمها الفعلي للحكم لا يكون الا بعدما تحطم جهاز الدولة البرجواني وتدمر

قوى الردة المضادة التي تمثل محاولة الطبقات المخلوعة استعادة امتيازاتها السياسية والاقتصادية المضروبة .

الثورة العربية والذي كُتب الكتاب عنه النكسة الأخيرة المتأتية من عدوان هـ حزيران الأخير : "لقد دخل الاستعمار طوره العدواني الصهيوني ، لذا ينبغي مواجهته بـ "ستراتيجية" ثابتة نهائية تنطلق

من مبدأ المجابهة المستمرة والتامة على امتداد الأرض العربية ... وهذا ما قصرت القيادة

البرجوازية الصغيرة للثورة العربية من الاضطلاع به . فهي لم تجابه الاستعمار الا بـ "تكتيكات متقلعة" لماذا ؟ لان البرجوازية ليست اكثر الطبقات جذرية في مواجهة الاستعمار (على ان ذلك لا يستلزمها من قائمة القوى المضادة للاستعمار ، بل يعلن فشل عجزها بقيادة للنضال المناهض للاستعمار) .

بناء على هذا التحليل ، ينطج البيان الى النتائج التالية :

— على صعيد قيادة الثورة العربية يجب انتقال هذه القيادة للعمال والفلاحين .

— على صعيد "انظمة الحكم التقدمية" (وخاصة ع . م .) :

+ بناء نظام اشتراكي (بواسطة التمنيع الثقيل) لحماية الاستقلال الاقتصادي وللصمود في وجه الحرب الاقتصادية التي يشنها الاستعمار .

+ توسيع "ادار الديمقراطية الشعبية" بحيث تتمكن الطبقة العاملة وسائر الكادحين من التجمع في تنظيم ثوري قادر على خوض معركة بناء "الاساس المادي للاشتراكية" .

+ تحويل الدولة الى "اداة ضاربة بيد الجماهير الكادحة" . وانشاء ميليشيا شعبية ، وتعبئة الجماهير لمقاومة الاستعمار .

— على صعيد شكل النضال : الشكل الوحيد للنضال هو الكفاح المسلح . على امتداد

الأرض العربية . . . لقد تمكّن الاستعمار واسرائيل من كسب الجولة الاولى من المعركة في عدوان الخامس من حزيران . ولا يمكن الرد على النكسة الا بتفجير الحرب الشاملة في الاستعمار الجديد . وهذا لا

يكون الا برفض محاولة اميركا حصر المعركة في اسرائيل "حيث تستتر وتختبي" ، بل . . .

... يجب جرهما الى ميدان واسع مكشوف وعلى صعيد يبرز جنازهما الاستعماري ويمس مباشرة مصالحهما الاقتصادية الكبيرة على امتداد الوطن العربي .

من يتولّى الاضطلاع بهذه المهمة ؟ يجب البيان : "القيادات والفصائل ذات القدرات

الايجابية ضمن حركة الثورة العربية" . فهذه مطالبة بان تتحد في جبهات قتالية (ثم قومية) على

برنامج وطني ديمقراطي .

— على الصعيد العالمي : ثورة عالمية مترابطة في وجه الاستعمار الجديد ، تقوم على الاسس

التالية : + تعميم الثورة (شعار غيفارا : "اكثر من فيتنام واحدة") .

+ وحدة المعسكر الاشتراكي .

+ اعادة النظر في سياسة التعايش السلمي . واعتماد الاتحاد السوفياتي لخدلة

قوة الردع المحدودة لمجابهة خطة الحرب المحدودة التي ينتهجها الاستعمار الاميري .

هنا ينتهي عرض بيان حركة القوميين العرب . وسوف نناقشه من خلال مناقشة المواضيع التالية :

(١) الكفاح المسلح في فلسطين المحتلة ، (٢) الكفاح المسلح في الجنوب العربي ، (٣) المهمات

المطروحة على "الانظمة التقدمية" ، (٤) شعار الكفاح المسلح في الانظمة الرجعية العميلة .

٤ — الكفاح المسلح في فلسطين المحتلة

(أ) هل ان الكفاح المسلح هو الشكل الوحيد لنضال الشعب العربي الفلسطيني من اجل

تحرير وطنه من الاحتلال الاسرائيلي ؟ نعم . بالتأكيد هو الشكل الوحيد . لماذا ؟

مع بدء العمل الفدائي الفلسطيني تدخلت القضية الفلسطينية طورا جديدا نوعيا من اطوارها . وسوف نحاول حصره على الشكل التالي :

— لأول مرة في تاريخ القضية الفلسطينية ، دخل الشعب الفلسطيني — مثلا بطلائعه

الفدائية — كدور اساسي حاسم في معركة هي معركته بالدوجة الاولى . بهذا العدد ، كان العمل

الفدائي ولا يزال عنصر تحويل جذري في ذهنية الشعب الفلسطيني نفسه . فقد تمكن باختصار ،

من ان يباشر بتحرير الشعب الفلسطيني من كل المركبات التي راكبها خلال سنوات من الضمور والانتظار .

فراح يكس ، بسرعة فائقة ، آثار الاتكالية والتفاوت المعهوم الاساس والتشاؤم المرير وفقدان الثقة

بالنفس . فاسرار بوضوح الى الطريق ، ومصابه وخطوته .

— في مواجهة الجبهات الفاشستية التي يلحقها غوغائيون من امثال الشثري من جهة ،

وفي وجه الدلج الدبلوماسي والسياسي للقضية الفلسطينية من قبل الحكومات العربية (حقوق اللاجئين

المالبة بتنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين (من جهة اخرى ، حدد العمل الفدائي ،
ولاول مرة ، هدف حركة التحرر الوطني الفلسطيني : انهاء الوجود الصهيوني في فلسطين المحتلة

(وليس ادانته سياسيا وحسب) . كما حدد الطريق الى ذلك : نزع البنية الاجتماعية والاقتصادية
والايدولوجية لدولة اسرائيل . وهذا ما عبرت عنه بوضوح حركة التحرر الفلسطينية (فتح) حين اعلنت:
" نريد اجبار دولة اسرائيل على الاعتراف ، بعد ثلاث او اربع سنوات ، بانها عاجزة عن الاستمرار
اذ ذلك ، تضحي مستعدة للمفاوضة نقول ، انه في غضون عشر سنوات ، لن تعود اسرائيل موجودة
لان بنيت البنية الاجتماعية والاقتصادية والايدولوجية ستكون قد تفككت . . . " (حديث مع فدائي فتح
مجلة الازمنة الحديثة ، العدد الخاص بالنزاع العربي - الاسرائيلي ، ص ٢١٦) .

هكذا يكون العمل الفدائي رد استراتيجي متكامل على الاستراتيجية الاسرائيلية كما تجلت
في اكثر من مناسبة ، من عدوان السويس عام ١٩٥٦ الى عدوان حزيران الاخير . ففي حين تقوم هذه
الاستراتيجية على نقل المعركة خارج ما تدعوه اسرائيل " ارضيا " تقوم الاستراتيجية الجديدة لحركة
التحرر الوطني الفلسطيني ، بالمقابل ، على نقد المعركة الى قلب العدو . واذ كانت المنظمات
الارهابية الصهيونية قد اعتمدت ، خلال عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، خطة الذبح والارهاب لاجبار الشعب
الفلسطيني على النزوح من ارضه فان الجهة المواجهة هي بالتحديد في العمل ، بواسطة العمل
الفدائي ، لجعل الاسرائيليين يندمون ، يندمون بمرارة ، على كونهم تجرأوا ووطأوا ارض فلسطين
(المصدر ذاته ص ٢٢٠) . ويحقق العمل الفدائي اغراضه المبينة اعلاه بالوسائل التالية :
- تخريب البنية الاقتصادية الاسرائيلية وتكبيد لها خسائر فادحة ، وتنفير الراساميل الاجنبية
الموظفة فيها
- الخد من السجرة ، ومنع استصلاح اراضي النقب .
- فرض حالة دائمة من التآهب على الجيش الاسرائيلي ترهقه نفسيا ، وتستنزفه اقتصاديا ،
وتخلق حالة من التوتر الدائم بين السكان .

(ب) التطور الجديد للعمل الفدائي الفلسطيني

على اثر عدوان الخامس من حزيران واحتلال اسرائيل للضفة الغربية وغزة وسيناء والمرتفعات
السورية وضمها للقدس ، دخل العمل الفدائي الفلسطيني طورا جديدا من اطواره اتسم بنقل قسم كبير
من منظماته الى داخل الارض التي يحتلها العدو ، واتساع عملياته وانتقالها الى طور جديد نسبيا
(الكائن والمناوشات) . وهذا التطور الجديد بالغ الاهمية ولا شك . واذ كان لم ينضج بعد بما
فيه الكفاية لتقييمه بشيء من الشمول ، فلا غنى عن الملاحظات التالية بشأنه :
اولا : يواجه العمل الفدائي جيشا من نوع جديد لا يجوز تطبيق مقاييس الجيوش النظامية
التقليدية عليه . فالجيش الاسرائيلي مكون اصلا من عصابات ارهابية مسلحة سابقة يلعب تجنيد
المتطوعين فيها دورا رئيسيا . وقد تركت ولادته اثارا بينة على وضعه الحالي ، لا يجوز الاستئانة بها .
وهو يضيف الى خبراته السابقة في حرب العصابات زبدة التراث الذي راكمه الاستعمار في السنوات
الاخيرة في مجال مكافحة حرب الخوار (لتندكر ان موسى دايان قد امضى خلال عام ١٩٦٦ ،
عدة اشهر في فيتنام الجنوبية يتلمذ على يد اساتذته السفاحين الاميركيين) وهو يفيد من خبراته
على مستويين اثنين :

- محاولته عزل الفدائيين عن السكان عن طريق السطلي لها بتصريف المنتجات الزراعية
من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية (منعاً لتولد حالة من التدمير والبؤس بين الفلاحين وصغار
المزارعين) ، ومنع عودة الشباب الى الضفة الغربية (وهم عماد العمل الفدائي) ،
- الابقاء على قوات احتلال رمزية في الضفة الغربية متحركة باستمرار على شكل دوريات
صغيرة . ولكنها محيطة بقوات نجدة تصل بسرعة الى المكان المطلوب وتستخدم الطيران للاستطلاع
والفصف والانزال في آن معا) .

- واذما ما اخفنا الى ذلك كله انكشاف المنظمات الفدائية النسبي (نتيجة استيلاء الاسرائيليين
على ملفات الشرطة الاردنية) تبرز امام العمل الفدائي مهمات جسيمة سوف نتعرض لبعضها لاحقا .

ثانيا : لم يعد من شك في اتساع التأييد الشعبي الفلسطيني للعمل الفدائي . وليس ذلك
مصدرا اساسيا من مصدر قوته وحسب ، بل هو ايضا دعامة استقلاله : اعتماده على التبرعات المتأتية
من الفلسطينيين وحدهم تقريبا (وخير مثال على ذلك قرار المؤلفين الفلسطينيين في الكويت تخصيص
٥ % من مرتباتهم لمندوق منظمة فتح) . ولكن يقابل ذلك موقف بعض الانظمة العربية المعادي للعمل
الفدائي . رغم كل الثثرة الكلامية ، يقف الحكم الاردني الحميل موقفا معاديا من العمل الفدائي
بشكل سافر . وما تتصل جماعة الحسيني في الضفة الغربية منه ، واطلاق القوات الاردنية النار على
الفدائيين الا بعض من مظاهر هذه الخيانة التي سترداد صلاقة كلما قطعت المفاوضات الاردنية -
الاميركية - الاسرائيلية شوطا الى امام . هنا تبرز احدى المهمات الرئيسية على العمل الفدائي وهو
تفجيرها ولا شك : نعني تلازم التعبئة والتوعية السياسييتين مع الكفاح المسلح . وفضح النظام الملكي
العمل في الاردن مهمة اساسية من مهام هذه التعبئة السياسية . ليس الفلسطينيين بحاجة الى براهين
كافية عن جدوى الكفاح المسلح (نشير هنا الى بعض منشورات فتح) فالبراهية العملية متبعة واكثر .

الأحوال مع الشمال ضد الحكم الملكي العميل . فمن بين العوامل الرئيسية التي تعزز الصراع حاليا عوامل تعود الى خيانة الحكم الملكي العميل وما حرمان سكان الضفة الغربية من السلاح حتى خلال العدوان الاسرائيلي (يقال ان السلطات الاردنية قررت تسليح الشباب في مدينة نابلس بعد ان كانت المصفحات الاسرائيلية قد احتلتها !) وارهابة المسلحين على النشاط الفدائي الا بعزل هذه العوامل . ويبدو ان هذا ما لم يدركه اطلاقا الحزب الشيوعي الاردني . فقد ارسل هذا الحزب وفدا من زعمائه لمقابلة الملك حسين (ورافقه احدهم - السلفيتي - في رحلته الى موسكو) ثم اصدر بيانا يعلن فيه ولائه " لوحدة المملكة الاردنية الهاشمية " . فكان زيارة الاتحاد السوفياتي كزيارة المسيحي المؤمن للمسلم : يرجع منها الملك حسين وقد تبرأ نهائيا من رجس العمالة للاستعمار يرجع " نذلينا " كما يقال ! وكان وحدة الاردن (بنفسيه) متعارضة مع استمرار التشهير بالنظام الملكي الموالي للاستعمار والعمل على اسقاطه .

ثالثا : السؤال المطروح حاليا يتعلق بمستقبل العمل الفدائي . هل يتمكن من الخروج من طور " الدفاع الاستراتيجي " (تعزيز قواته وتوسيع اجهزته وتحقيق تمركه في الوقت الذي يدخل فيه مع العدو ومناوشات واشتباكات يقرر هو توقيتها ومداها) الى طور التحول الى جيش شعبي يحول النضال الى حرب تحرير شعبية (وحدات كبيرة تشتبك مع معدات كبيرة من العدو ، هجمات على مواقع هامة) . نكتفي بطرح السؤال . فالاجابة عليه مرهونة بعدة اعتبارات خارجة عن حيز هذا المقال يتعلق بعضها باستراتيجية تحرير فلسطين من الاحتلال الاسرائيلي نهائيا . على ان ذلك لا يعفينا من التشديد على هذه النقاط الهامة :

— ينبغي ان يخرج العمل الفدائي من طور الهواية والبعثرة وانعدام التنسيق الذي يطبع مرحلته الراهنة وذلك عن طريق توحيد المنظمات الفدائية (او الاتفاق على حد ادنى من التنسيق فيما بينها) وتسخير عمليات النسف والتخريب ونصب الكائن وما شابه الى خطة محكمة تعطي كل هذه العمليات فعاليتها المطلوبة .

— مهما يكن مآل تصفية آثار العدوان " ، لا يجوز ذلك ان يعيق العمل الفدائي في المستقبل . هنا ينبغي على المنظمات الفدائية خلق نوى لها داخل فلسطين المحتلة نفسها (حدود هدنة ١٩٤٩) وهنا ايضا يبرز الحاح العمل السياسي فان عرب الارض المحتلة ليسوا مكسوبين ، بشكل آلي ، الى فكرة التحرر من الاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي . لنذكر ان ثمة جيلا بأكمله من هؤلاء قد ولد وترعرع في ظل الحكم الاسرائيلي .

٥ — اذا كان الكفاح المسلح هو احدى شكل بلخه تطور حركة التحرر الفلسطينية ، فهل يعني ذلك انه شكل صالح لان يعمم " على امتداد الارض العربية " ؟ يتضح من وراء بيان حركة القوميين العرب تأثيران اساسيان ، اولهما " نظري " (رسالة غيفارا الاخيرة الى مؤتمر الثارات الثلاث) وثانيهما عملي (استثمار الثورة المسلحة في الجنوب العربي) . وسوف نعالج في اجابتنا على السؤال تبيان خصوصيات الوضع في الجنوب العربي التي سمحت للكفاح المسلح بان يولد وان ينتشر . وهي خصوصيات ليست متوافرة بتركيبتها المتميز في اي بلد عربي آخر .

(١) ان الكفاح المسلح في الجنوب العربي هو تنويع — المرحلة العليا والاخيرة — للنضال

الوطني ضد الاستعمار البريطاني المباشر . لبورة هذه النقطة سوف نتعرض بسرعة ، وعلى نحو بياني

اسفانيا ، لاطوار النضال الوطني في عدن والجنوب .

الدور الاول : يمكن أرجاع العمل الوطني الجدي في عدن الى عام ١٩٥٧ ، عندما برزت

الطبقة العاملة (بقيادة المؤتمر العمالي العدني) كقوة اساسية فيه . اذن : طليعة النضال الوطني : النقابات العمالية . قاعدته الاساسية : الطبقة العاملة والمثقفون والبرجوازية الصغيرة . قيادته : ارستقراطية عمالية على رأسها عبد الله الاصنع (رئيس نقابة موظفي المصارف اصلا) . اساليبه : الاضرابات والتظاهرات . شعاره : الاستقلال عبر المفاوضة . برجوازية عدن لا تزال شريفة للاستعمار البريطاني وقاعدة هيمنته . الرد البريطاني : رفض التفاوض ، البحث عن " فئة ثالثة " .

الدور الثاني : بروز الازهاب المدني بقيادة الجبهة القومية (عام ١٩٦٢) وبدعم من

الجمهورية العربية المتحدة (والجمهورية اليمنية بعد قيامها) . المؤتمر العمالي اليمني ينشيء جبهته السياسي (حزب الشعب الاشتراكي) الخلاف بين المنظمين الوطنيتين : المفاوضة ام العمل المسلح . بريطانيا تعزز اتحاد الجنوب العربي في محاولة لتطويق عدن المتقدمة بحزام من السدائدات

والامارات الرجعية التي يحكمها فعلا المستشارون البريطانيون .

الدور الثالث : بريطانيا تحدد موعد انسحابها من عدن والجنوب . البرجوازية العدنية

تأهب للحلول محلها . التعبير السياسي عن هذا الانعطاف شراكة عبد الشفي مكاي (رئيس سابق لوزراء عدن) مع الاصنع في جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل . قحطان الشعبي ، زعيم الجبهة القومية ، يقود النضال المسلح في رد فان . عام ١٩٦٥ محاولة اندماج بين المنظمين تبوء بالفشل .

الطور الرابع : النضال الوطني في طريق مسدودة : التظاهرات وحتى الاعمال الارهابية عاجزة

عن زحزحة قوات الاحتلال المتمركزة في عدن . الجبهة القومية تنقل نشاطها الى الارياف (الحلقة ١) الضعيفة فعلا في الجنوب) . الاستراتيجية الوطنية المضادة : ضرب الاستعمار البريطاني في اضعف حلقة من حلقاته سلسلته : الامارات المتخثرة ، المتفككة .

(٢) خصوصية الظروف التي سمحت بقيام وانتصار الكفاح المسلح في عدن والجنوب :

- (١) وجود استعمار كولونيالي مباشر في طور النزاع الاخير (بسبب الازمة العامة للاستعمار البريطاني)
- (ب) امارات ومشيخات متفككة وهزيلة لا يكاد يوجد فيها قوات بريطانية .
- (ج) حياد الجيش ، وتواطؤه احيانا مع الحركة الوطنية ، هزال الجهاز الاداري .
- (د) سهولة كسب ود القبائل (يكفي استمالة زعمائها) واستغلال الخلافات بينها وبين القبائل الحاكمة .

٦ - اذا كان يستحيل تعميم تجربة الجنوب العربي بسبب خصوصيتها ، على ماذا يعتمد بيان حركة القوميين العرب في الدعوة الى اعتماد الكفاح المسلح شكلا وحيدا للنضال في هذه المرحلة؟ الاجابة على هذا السؤال نطرح سؤالا آخر : اذا كانت فعالية شكل نضالي ما تتحدد حسب قدرته على ان يحشر نفسه حيث تتكثف التناقضات ليكون اداة تفجيرها وتوليد توازن قوى جديد لصالح الطبقات المستغلبة (بفتح الضمين) ، فعلى اي تحليل للتناقضات يقوم تبني شعار الكفاح المسلح ؟ الجواب هو غياب هذا التحليل . يكفي البيان بتعيين "جدة" الاستعمار الجديد من خلال

التشديد على شراسته . ولكن ذلك لا يبين اطلاقا العناصر التي تؤكد جدّة وضع ما بالنسبة لتحليل ماركسي . وهذه العناصر تتعلق اساسا ، ما دنا بصدد الاستعمار ، بنوعية التعديلات التي طرأت

على التبعية والاستغلال في العلاقة بين الدول الاستعمارية والبلاد التابعة ، او الخاضعة لمنطق

السوق الرأسمالية العالمية .

وإذا كان البيان يعين ضمنا التناقض بين الاستعمار الجديد وبين العمال والفلاحين وسائر الكادحين (بقيادة العمال والفلاحين) على انه التناقض الرئيسي في هذه المرحلة ، الا انه يعين مداه ، وعلى نفس المستوى من الهمية والتأزم ، على امتداد الارض العربية . من هنا ، وعمومية التحليل ، تؤدي الى عمومية الاستراتيجية (اي الى استراتيجية ، ما دامت هذه ، تعريفها ، تعيين اولويات) . أين يعبر التناقض بين الاستعمار الجديد والجماهير العربية عن نفسه بشكل متفجر ، او قابل للتفجير اذا توافرت الشروط الذاتية الملائمة ؟ في اي قطر ؟ في اي مجموعة اقطار ؟ اين الحلقة الحاسمة في المنطقة العربية التي يؤدي تحطيمها الى اجراء تغييرات جذرية في توازن القوى الطبقيّة القائم بأسره فيها ؟

- الاستعمار (قديمه وحديثه) علاقة تبعية وهيمنة . اي انه يفترض وجود أنظمة معينة في البلدان المستعمرة (بفتح الميم) تسمح باستمرار وتعزيز ودوام علاقات النهب والاستغلال والتبعية . من هنا ، فحزب الاستعمار هو ضرب الأنظمة التي تصون مصالحه ويصون هو بقاءها السياسي ، وانما عين الأنظمة التي تصيق تقدم شعبنا وتحرره وانعتاقه من التخلف . ألا يعني ضرب الاستعمار الجديد ، اذن ، ضرب قواعد المحلية (الرجعية العربية واسرائيل) ؟ وإذا كان الامر كذلك ، فأين هي الحلقة الـ الضعيفة في السلسلة الاستعمارية في المنطقة العربية ؟ أهى اسرائيل أولا ؟ - ام الأنظمة الرجعية ؟ واي نظام منها ؟ ومن يتولّى إسقاط هذه الأنظمة ؟ -

ستبقى اسئلة عديدة معلّقة لسبب سوف يتضح عما قريب . على اننا تجرّنا الى طرح السؤال حول قيادة الثورة العربية .

يعلن البيان سقوط البرجوازية الصغيرة كقيادة للثورة العربية . ويدعو الى تولي العمال والفلاحين قيادتها . جميل ! ولكن من يمثل العمال والفلاحين ؟ من يقود نضالهم ؟ يجيب البيان بهذه العبارة المبهمة : "القيادات والفصائل ذات القدرات الايجابية ضمن حركة الثورة العربية" . ولكن أليست هذه هي القيادات نفسها التي ينعي البيان سقوطها بوصفها قيادات

برجوازية صغيرة ؟ !! لقد بينا في عدد سابق من هذه النشرة ، وفي مكان آخر من النشرة الحالية

نفسها كيف يدعو البيان الى تكوين الجبهات بغية انقاذ قيادة عبد الناصر (بوصفها قيادة تعيين فوق النظام الناصري نفسه ، فوق الحدود التي تحدده وهي حدود حكم بير وقراداي عسكري يقوم على القلاع المتبرجز من البرجوازية المدنية الصغيرة وملأك الارض المتوسطين في الريف بالتحالف مع بقايا الاقطاع والبرجوازية ، والعاجز عن الانعتاق من السورث الرأسمالية العالمية والاضطلاح بمهام التراكم الاولى لرأس المال بغية حل قضايا التخلف الاساسية لاوسع جماهير الشعب ، وفي الهدف خاصة) .
وهنا ان البيان ينتقد القيادات والفصائل البرجوازية الصغيرة باسم الحاج لا يوضح ملامحه ، فيتحاشى بذلك التمادي للمشكلة الرئيسية : مشكلة بناء حزب الطبقة العاملة الذي يقود الفلاحين وسائر الكادحين متسلحا بالماركسية - اللينينية .

ليست المسألة مسألة سقوط قيادات برجوازية صغيرة وحسب . ان بروز هذه القيادات الشعبية عن بروز البرجوازيات الصغيرة في المنطقة كطرف مسيطر في ساحة المعركة ضد الاستعمار المباشر في الخمسينات . من هنا فالمسألة الاساسية هي مسألة أنتشال النضال الوطني والاجتماعي العربي من المأزق الذي يجد نفسه فيه : عجز البرجوازيات الصغيرة عن تحقيق الاهداف التي تدعي العمل من اجلها ، وتبرجزها حيث تسلمت الحكم مضاعف بعدم بروز القوة الطبقة البديلة الى الساحة لتحل محلها .

ان سقوط القيادات البرجوازية لم يتجل فقط في عجزها ، كأنظمة ، عن حل قضايا التخلف الاساسية ، ولم يتجل فقط في اخفاقتها في التحرر من الانظمة الرجعية العميلة (مواقع قدم الاستعمار الجديد) ، ولا في ايجاد حل صريح للقضية الفلسطينية (ما دامت هذه المسألة تتعلق حكما بنمط العلاقات القائمة مع المعسكر الاستعماري ، وبنوعية الانظمة والقيادات التي تنتهج لحلها) ، ان سقوط القيادات البرجوازية يعلن كذلك سقوط اسلوب العمل (تميز بالاندفاع الشعبي العفوي المفتقد لاي تعبئة وتنظيم من جهة ، ويكون الانقلاب العسكري الاداة الوحيدة لتغيير الأوضاع من جهة اخرى) . وسقوط العفوية والعمل الانقلابي يولد حتما صعود البديل : حزب الطبقة العاملة

والفلاحين وسائر الكادحين . ذلك هو الشعار الاول الذي لا تعني الشعارات الاخرى شيئا بدونه .

وتلك هي الاداة الكفيلة بادخال الجماهير العمالية والفلاحين العربية الى ساحة المعركة فعلا كقوة مستقلة للميعة تتولى تنفيذ مهمتها التاريخية في تحرير المنطقة من الاستعمار والصهيونية والانظمة الرجعية العميلة وتحميل انظمة برجوازية الدولة باتجاه الاشتراكية (بقيادة سلة العمال والفلاحين) . هذا الحزب ، بل هذه الاحزاب ، هي وحدها القادرة - عبر تكييفها مع ظروفها القطرية وعبر تعاونها على اساس استراتيجية عربية تكون تنويعا للاستراتيجيات القطرية - على ان ترسم طريقها وتحدد اشكال نضالها (الاجابة على الاسئلة التي تركها معلقة) .

طرحنا السؤاال حول معنى طرح شعار الكفاح المسلح في المرحلة الراهنة . لقد آن الاوان لان نجيب ان معناه تأجيل البعث بالمهمة الاولى للنضال العربي : بناء الاحزاب الماركسية -

اللينينية التي لم يبتكر التاريخ غيرها لقيادة تحرير الجماهير الكادحة من اجل انتصار قنيتها 1

تقديم النص

هذه صفحات انتخابنا من خطاب القاه لينين في ربيع ١٩١٩ ، نشر بعدها في كراس عنوانه : " انتصارات السلطة السوفياتية ومما عيها " وفيه يسترجع ما تحقق خلال عام بعد تسلّم السلطة ، على اصعدة مختلفة : من بناء الاشتراكية وتلويح الاختصاصيين البرجوازيين على يد منظمات الحزب الى بناء الجيش الاحمر ومقاومته الاحتلال الامبريالي والغزو الابيض .

واذا كانت هذه الصفحات ترد القاري بعنف مذهل الى ما عانته الثورة المصرية خلال الحرب الاخيرة — وقبلها — من خيانة البيروقراطية او تخلفها عن المعركة ، فان غابتنا من نشرها ليست ، بحال ، نقل الاوضاع التي تعرضها من اطار تاريخي معين الى آخر مختلف لكن الامر الذي لا يقبل الجدل هو انه كان ثمة طرفان ، داخل الثورة ، في الصراع الذي كانت تخوضه السلطة السوفياتية ضد الرجعية والامبريالية : الحزب ومن خلفه الجماهير في طرف وفئات المتعلمين الذين كان على الحزب ان يضبطهم في الطرف الاخر . ولقد امكن للثورة ان تحصر النيانة والنكوص في صفوف هؤلاء بحيث حالت بينهم وبين ضربها . ذلك ان حزب الجماهير كان موجودا وكان هو صاحب السلطة وهو القائد . اما في مصر فقد كان التنظيم غائبا مشلولا ، وظلت القيادة في الجيش كما في الادارة والانتاج بين ايدي اولئك البيروقراطيين الذين يفهم لينين بانهم "برجوازيون حتى العظام" وان تنوع ما يدلقونه على انفسهم من تسميات . لذا حمّد لينين النصر وحصدنا نحن الهزيمة .

لقد نجحنا في تحقيق انعطاف كان من اثره ان جيشا قوامه عشرة ملايين رجل غارقين في نوحى الهزيمة ، عاجزين عن الاستمرار في تحمل فظائع الحرب ، مدركين ان تلك الحرب اجرامية ، قد بدأ يتكون ، عوضا عنه ، جيش اشتراكي يعرف لماذا يقاتل ويتقبل من التضحية والحرمان ما لم يكن يتقبله في ظل القيصرية ، ولانه يعلم انه يدافع عن قضيته ، عن ارضه ، عن سلطته في المصنع ، عن سلطة الشغيلة ، وان شغيلة البلدان الاخرى يستيقظون ، بصحوة وجهد ، الا انهم ، على اي حال ، يستيقظون .

ان الحرب قاسية بما لا يحده ، على روسيا السوفياتية ، انما قاسية بما لا يحده على شعب تحمل طوال سنوات اربع ويلات الحرب الامبريالية . ان الحرب مجهدة بما لا يحده لروسيا السوفياتية . لكن اعدائنا الاقوياء يحترفون الان بان جيوشهم على طريق التفكك بينما جيشنا في سبيل التكوين . وما ذلك الا لان الجيش يتكون للمرة الاولى في التاريخ ، على حلة وثيقة ، على صلة لا انفصام لها ، بل انه في وسعنا القول انه يتكون في اندماج لا فكاك له بينه وبين السوفياتات . فالسوفياتات تضم الشغيلة جميعا والمستغلين جميعا والجيش يتكون على قواعد من الوعي والدفاع الاشتراكيين . كان احد ملوك بروسيا في القرن الثامن عشر يقول وفي قوله ذكاء كثير : " لو ادرك جنودنا لماذا نقاتل لاستحال علينا القيام بحرب واحدة لكننا اليوم موهلون للقول ، اذا قسنا وسعنا على وضعه : " ان في وسعنا ان نخوض الحرب لان الجماهير تعرف لماذا تقاتل ، وهي تريد ان تقاتل رغم الصعوبات التي لا مثيل لها (واعدو هنا فأقول ان اعباء الحرب اثقل مما كانت عليه في ظل القيصرية) وهي تعلم ان عليها ان تقدم من التضحيات المستميتة ما يكاد يفوق احتمالها ، في سبيل الدفاع عن القضية الاشتراكية والنضال الى جانب العمال ، في البلدان الاخرى ، الذين بدأوا ، في " خذلانهم " ، يتحسسون موقفنا .

. الجميع يعلمون ان هذه الحرب مفروضة علينا فرضا . ففي بداية عام ١٩١٨ انزينا الحرب الحرب القديمة دون ان نبدأ حربا جديدة ، والجميع يعلمون ان البعض زحفوا علينا من الغرب والجنوب والشرق ، وما ذلك الا بعون من " التفاهم " الذي كان يوزع الملايين ذات اليمين وذات اليسار . فان مخزونات هائلة من الذخيرة والتجهيزات بقيت من الحرب الامبريالية ، قد جمعت في البلدان المتقدمة وكست لدعم الحراس البيض ، لان السادة من اصحاب الملاييتي والمليارات يعلمون ان مصيرهم يتقرر هنا ، وانهم هالكون اذا لم يسحقوا دون تلكؤ .

اما الجمهورية الاشتراكية فهي تقوم بعظيم الجمود وتتقبل التضحيات وتحرز الانتصارات . والاما القينا الان نظرة على الخارطة متسائلين عما كانت عليه روسيا السوفياتية في آذار ١٩١٨ وما اصبحت عليه في تموز ١٩١٨ حينما كان الامبرياليون الالمان يقفون ، غربا ، على الخط الذي عينه صلح برست - ليتوفسك ويرزحون بنيرهم على اوكرانيا بينما كان التشيكيون وقد اشتراهم الفرنسيون والانكليزيين يسدلون سلاطينهم شرقا الى كازان وسمرسك ، ثم اذا تأملنا خارطة حالية ، لرأينا ان حجبنا قد تعاطم اشد التعاطم واننا احرزنا من الانتصارات اهمها .

في هذا الوضع يستطيع نصابو السياسة وحدهم بل اشداهم قذارة واكثرهم فسادا ان يلفظوا بالكلمات الكبيرة وان يتممونا بالنزعة العسكرية الحمراء .

اما عن الثورات التي يستطيع المرء ، وبعد انتصاراتها ، ان يضعها في جيبه ، ثم ينام على الكليل غاره ، فان التاريخ لم يعرف منها ولا واحدة . ومن يظن ان مثل تلك الثورات يمكن تسورها لا يعد ، بحال ، من الثوريين . بل هو بين الد اعداء الطبقة العادلة . فلم يحدث ابدا ان قامت ثورة من هذا النوع ، لا ثانوية ولا برجوازية ، لم يكن همها سوى مرور السلطة من اقلية مالكة الى اخرى . والامثلة على رأينا كثيرة . الثورة الفرنسية التي تحالفت ضدها ، في مطلع القرن التاسع عشر ، كبريات الدول الهزيمة بغية سحقها ، ثورة عظيمة لانها استطاعت ان تحمل الجماهير الشعبية الواسعة على الدفاع عن مكاسبها ، مقاومة العالم كله في سبيل ذلك . ان تلك لواحدة من ميزاتها الكبرى .

ذلك ان كل ثورة تمتحن باصعب المحن في الواقع والصراع والنار . فاذا كنت مضطهدا مستغلا (بفتح الهاء والغين) واذا فكرت في اسقاط سلطان المستغلين (بكسر الخين) واذا صمت على الذهاب الى النماية في هذا الطريق فلتعلم انه سيكون عليك ان تواجه ضغط المستغلين في العالم كله ، وحتى اذا كنت على استعداد لمقاومة هذا الضغط وتقبل تضحيات جديدة من اجل السمود في المعركة فانك من الثوريين . اما في الحالة المغايرة فانك سوف تسحق . هكذا تطرح المسألة عبر تاريخ الثورات جميعا .

والمحنة الحقيقية التي تواجهها ثورتنا هي اننا عرفنا ، في بلد متأخر ، كيف نتسلم السلطة لبل آخرين (في بلدان اخرى) وكيف نصل الى الشكل السوفياتي في الحكم ، الى سلطة المستغلين (بفتح الغين) والشغيلة . أف يكون لنا ان نحفظ بها الى الى الحين الذي تبدأ به جماهير البلدان الاخرى في التحرك ، على الاقل ؟ اذا لم نعرف كيف نتقبل التضحيات الجديدة واذا لم نقدر على السمود فسوف يقال : " انه قد ظهر ان الثورة لم تكن شرعية تاريخيا " . غير ان الديموقراطيين في

لقد نجحنا في تحقيق انعطاف كان من اثره ان جيشا قوامه عشرة ملايين رجل غارقين في فوضى الهزيمة ، عاجزين عن الاستمرار في تحمل فظائع الحرب ، مدركين ان تلك الحرب اجرامية ، قد بدأ يتكون ، عوضا عنه ، جيش اشتراكي يعرف لماذا يقاتل ويتقبل من التضحية والحرمان ما لم يكن يتقبله في ظل القيصرية ، لانه يعلم انه يدافع عن قضيته ، عن ارضه ، عن سلطته في المصنع ، عن سلطة الشغيلة ، وان شغيلة البلدان الاخرى يستيقظون ، بصحوة وجهد ، الا انهم ، على اي حال ، يستيقظون .

ان الحرب قاسية بما لا يحده ، وعلى روسيا السوفياتية ، انما قاسية بما لا يحده على شعب تحمل طوال سنوات اربع ويلات الحرب الامبريالية . ان الحرب مجهدة بما لا يحده لروسيا السوفياتية . لكن اعداءنا الاقوياء يحترفون الان بان جيوشهم على طريق التفكك بينما جيشنا في سبيل التكوين . وما ذلك الا لان الجيش يتكون للمرة الاولى في التاريخ ، على حملة وثيقة ، على صلة لا انفصام لها ، بل انه في وسعنا القول انه يتكون في اندماج لا فكاك له بينه وبين السوفياتات . فالسوفياتات تضم الشغيلة جميعا والمستغلين حكيميا والجيش يتكون على قواعد من الوعي والدفاع الاشتراكيين . كان احد ملوك بروسيا في القرن الثامن عشر يقول وفي قوله ذكاء كثير : " لو ادرك جنودنا لماذا نقاتل لاستحال علينا القيام بحرب واحدة " لكننا اليوم مؤهلون للقول ، اذا قسنا وضعنا على وضعه : " ان في وسعنا ان نخوض الحرب لان الجماهير تعرف لماذا تقاتل ، وهي تريد ان تقاتل رغم الصعوبات التي لا مثيل لها (واعدود هنا فأقول ان اعباء الحرب اثقل مما كانت عليه في ظل القيصرية) وهي تعلم ان عليها ان تقدم من التضحيات المستميتة ما يكاد يفوق احتمالها ، في سبيل الدفاع عن القضية الاشتراكية والنضال الى جانب العمال ، في البلدان الاخرى ، الذين بدأوا ، في " خذلانهم " ، يتحسنون موقفنا .

... الجميع يعلمون ان هذه الحرب مفروضة علينا فرضا . ففي بداية عام ١٩١٨ انبشينا الحرب الحرب القديمة دون ان نبدأ حريا جديدة ، والجميع يعلمون ان البعض زحفوا علينا من الغرب والجنوب والشرق ، وما ذلك الا بعون من " التفاهم " الذي كان يوزع الملايين ذات اليمين وذات اليسار . فان مخزونات هائلة من الذخيرة والتجهيزات بقيت من الحرب الامبريالية ، قد جمعت في البلدان المتقدمة وكرست لدعم الحراس البيض ، لان السادة من اصحاب الملايكة والمليارات يعلمون ان مصيرهم يتقرر هنا ، وانهم ، هالكون اذا لم يسحقوا دون تلكؤ .

اما الجمهورية الاشتراكية فهي تقوم بعظم الجهود وتتقبل التضحيات وتحرز الانتصارات . والاما القينا الان نظرة على الخارطة متسائلين عما كانت عليه روسيا السوفياتية في آذار ١٩١٨ وما اصبحت عليه في تموز ١٩١٨ حينما كان الامبرياليون الالمان يقفون ، غربا ، على الخذل الذي عينه صلح برست - ليتوفسك ويزرحون بنيرهم على اوكرانيا بينما كان التشيكيون وقد اشتراهم الفرنسيون والانكليزيين يسدلون سلطانهم شرقا الى كازان وسميرسك ، ثم اذا تأملنا خارطة حالية ، لرأينا ان حجمنا قد تعاظم اشد التعاضم واننا احرزنا من الانتصارات اهمها

في هذا الوضع يستطيع تصابو السياسة وحدهم بل اشد هم قذارة واكثرهم فسادا ان يلفظوا بالكلمات الكبيرة وان يتممونا بالنزعة العسكرية الحمراء .

اما عن الثورات التي يستطيع المرء ، بعد انتصارها ، ان يضعها في جيبه ، ثم ينام على الكليل غاره ، فان التاريخ لم يعرف منها ولا واحدة . ومن يظن ان مثل تلك الثورات يمكن تصورها لا بعد ، بحال ، من الثوريين . بل هو بين الد اعداء الطبقة العدمية . فلم يحدث ابدا ان قامت ثورة من هذا النوع ، لا ثانوية ولا برجوازية ، لم يكن همها سوى مرور السلطة من اقلية مالكة الى اخرى . والامثلة على رأينا كثيرة . الثورة الفرنسية التي تحالفت ضدها ، في مطلع القرن التاسع عشر ، كبريات الدول الهرمة بغية سحقها ، ثورة عظيمة لانها استطاعت ان تحمل الجماهير الشعبية الواسعة على الدفاع عن مكاسبها ، مقاومة العالم كله في سبيل ذلك . ان تلك لواحدة من ميزات الكبري .

ذلك ان كل ثورة تمتحن باصعب المحن في الواقع والصراع والنار . فاذا كنت مضطهدا مستغلا (بفتح الهاء والخين) واذا فكرت في اسقاط سلطان المستغلين (بكسر الخين) واذا صممت على الذهاب الى النهاية في هذا الطريق فلتعلم انه سيكون عليك ان تواجه ضغط المستغلين في العالم كله ، حتى اذا كنت على استعداد لمقاومة هذا الضغط وتقبل تضحيات جديدة من اجل الممود في المعركة فانك من الثوريين . اما في الحالة المخايبة فانك سوف تسحق . هكذا تطلع المسألة عبر تاريخ الثورات جميعا .

والمحنة الحقيقية التي تواجهها ثورتنا هي اننا عرفنا ، في بلد متأخر ، كيف نتسلم السلطة نيل آخرين (في بلدان اخرى) وكيف نصل الى الشكل السوفياتي في الحكم ، الى سلطة المستغلين (بفتح الفين) والشغيلة . أف يكون لنا ان نحفظ بها الى الى الحين الذي تبدأ به جماهير البلدان الاخرى في التحرك ، على الاقل ؟ اذا لم نعرف كيف نتقبل التضحيات الجديدة واذا لم نقدر على الممود فسوف يقال : " انه قد ظهر ان الثورة لم تكن شرعية تاريخيا " . غير ان الديموقراطيين في

البلدان المتقدمة ، المسلحة من قمة رأسها الى اخمص قدميها ، يخشون ان يظروا في جمهورية حرة
 كأمريكا ، فيها من السكان مائة مليون و مائة من البلاشفة : فما اسرع عدوى هؤلاء ! ويبدى ان قوت
 الديمقراطية عاجزة عن مصارعة مائة من الناس اصلهم من روسيا المدمرة الجائعة يأخذون في الحديث
 عن البلشفية ! ان عواطف الجماهير معنا ! وليس امام البرجوازيين الا حظ واحد في النجاة :
 ان يظلوا ، ما دام السيف لم يستل من ايديهم . وما دام في حوزتهم مدافع ، ومصوبين هذه المدافع
 الى روسيا السوفياتية وان يسحقوها خلال اشهر معدودة ، لان سحقها لن يعود ممكنا بعد ذلك .
 هذا هو الوضع الذي نحن فيه وهذا ما يعين السياسة العسكرية التي التي ينبغي عليها مجلس مفوضي
 الشعب وهذا ما يجعل حقا لنا ان نقول ، بناء على الوقائع والنتائج ، اننا اذا كنا صامدين للمحنة فما
 ذلك الا لان العمال والفلاحين ، وقد انصبتهم الحرب اشد الانكاس ، قد اقاموا البرهان على بطولتهم
 من جديد ، واذ اخذوا يبنون جيشا جديدا في اكثر الظروف ايلاما .

تلك هي الحصيلة المجملّة لسياسة السلطة السوفياتية في الحقل العسكري . غير انني
 سأسمح لنفسي باضافة كلمات قليلة حول نقطة تتصل فيها السياسة العسكرية بالسياسة في حقول أخرى
 وبالسياسة الاقتصادية : غنيت مسألة الاختصاصيين العسكريين .

تعلمون ، ولا شك ، اني جدل اثارته هذه المسألة وكمن مرة رأينا رفاقا من الشيوعيين
 البلاشفة بل من اعظمهم اخلاصا واكثرهم اقتناعا يرفعون احتوائهم باعنف الاحتجاج على استخدامنا
 في تنظيم الجيش الاحمر الاشتراكي ، اختصاصيين عسكريين قداماء من جنرالات القيصر وضيابطه تركت فيهم
 خدمة الأوتوقراطية وحيانا الحملات الدامية ضد العمال والفلاحين اثر لا يمحو .
 ان التناقض هنا جلي وبيّن ، والنقمة بمعنى من المعاني تولد من ذاتها . فكيف يبنى الجيش
 الاشتراكي بمعونة الخبراء القيصرين ؟

لكن الواقع هو اننا ، على هذا النحو فقد استطعنا ان نبنيه . واذما ما تفكرنا في المهمة
 التي كانت واقعة على عاتقنا ، فليس من الصعب ان نفهم اننا لم نكن نستطيع بناء الجيش الا على هذا النحو
 النحو . وليست المسألة عسكرية فحسب : فلقد كان علينا ان نحل المشكلة ذاتها في سائر مجالات
 الحياة الوطنية والاقتصاد الوطني .

كان قداماء الاشتراكيين الطوباويين يخالون ان بالوسع بناء الاشتراكية باناس من غير الصف
 الموجود ، وانهم سوف يكونون اول الامراناسا في منتهى الدلية وغاية النقاوة لهم من الكفاءة العلمية
 اعجبها ، وانهم بفضل هؤلاء الناس سوف يبنون الاشتراكية . اما نحن فقد سخرنا دوما من هذه الافكار
 اذ لم نكن فيها سياسة جادة بل هزلا . ان او اشتراكية مشبعة بماء الزهر تصلح لانسات المدارس
 الداخلية .

نحن نريد ان نبني الاشتراكية مع اولئك الناس الذين ربتهم الرأسمالية فافسدتهم وعهزتهم
 لكها ، في ان معا ، اكسبت عيدانهم صلابة الصراع . ان ثمة بروليتاريين قد شحذت عزيمتهم بحيث
 يحتملون من التضحيات ما يضيق به اي جيش ، وثمة عشرات الملايين من الفلاحين المضطهدين الجاهلين
 المشتتين الذين يستطيعون ، رغم ذلك ، ان يلتفوا حول البروليتاريا في الكفاح اذا هي سلكت نحوهم
 مسلكا حكيما . ثم ان هناك الاختصاصيين في امور العلم والتقنية ، وهم جميعا مشبعون حتى العظم
 بنمور برجوازي للعالم ، وهناك ايضا الخبراء العسكريون الذين تربوا على الحياة البرجوازية — بل ان
 من دواعي الغبطة ان يكونوا تربوا على هذه الحياة لا على نظام الملاكين الاقطاعيين ، نظام العصا
 والقناة . ففي ما يتعلق بالاقتصاد الوطني نجد ان جميع الخبراء الزراعيين وجميع المهندسين
 وجميع المعلمين اصلهم من الطبقة المالكة : ذلك انهم لم يسقطوا من طب الخيم ! فلم يكن للبروليتاري
 الذي لا يملك شيئا ولا للفلاح خلف محراته ان يدخل الى الجامعة في ظل القيصر نقولا ولا في ظل
 الرئيس الجمهوري ولسون . العلم والتقنية بضاعة الاغنياء ، بضاعة الملاكين ، والرأسمالية لا توزع الثقافة
 الا على اقلية . لكن علينا ان ننطلق من هذه الثقافة في سبيل بناء الاشتراكية . فما اراتنا نجد مواد
 بناء اخرى . نحن نريد ان نبني الاشتراكية حالا ، منذ الآن ، بالمواد التي خلقتها لنا الرأسمالية
 بين عشية وضحاها ، لا باناس . تكونس لنا آلات التفقيس ، اذا جاز ان نتسلل بهذه الخرافة . ان من
 لدينا من الاختصاصيين هم الاختصاصيون البرجوازيون لا سواهم . وليس لدينا من لبنات اخرى او
 شيء آخر للبناء . انه ينبغي للاشتراكية ان تنتصر علينا ، ونحن الاشتراكيين والشيوعيين ، ان نظهر في الوقت
 الوقائع اننا قادرون على بناء المجتمع الاشتراكي بهذه اللبنات ، بهذه المواد ، بهؤلاء البروليتاريين
 الذين لم يأخذوا من الثقافة الا اقلها ، بأولئك الاختصاصيين البرجوازيين .

حتى اذا لم تبنيوا المجتمع الاشتراكي بهذه المواد فلستم الا من اهل الثروة والجمعية .
 هكذا تلوح علينا المسألة تلك التركيبة التاريخية التي خلقتها الرأسمالية العالمية ! وتلك
 هي الصعوبة التي توجب علينا ان نواجهها واتعيا يوم تسلمنا السلطة ويوم خلقنا الجهاز السوفياتي .
 ذلك قسم من المشكلة وهو قسم كبير . فالحهاز السوفياتي يعني ان الشغيلة متحدون على
 نحويتهم لهم ان يسحقوا الرأسمالية تحت وطأة ثقلهم كله . وقد فعلوا . لكن هذا لا يلهم احدا .
 بل الواجب ان نأخذ كل الثقافة التي تركتها الرأسمالية وان نبني بها الاشتراكية . الواجب ان نأخذ
 العلم كله والتقنية كلها والمعارف كلها والفن كله . وبغير ذلك لن نستطيع ان نبني الحياة والمجتمع

البلدان المتقدمة ، المسلحة من قمة رأسها الى اخمص قدميها ، يخشون ان يظهر في جمهورية حرة
 كأمريكا ، فيها من السكان مائة مليون ، مائة من البلاشفة : فما اسرع عدوى هؤلاء ! ويبدى ان قوت
 الديمقراطية عاجزة عن مصارعة مائة من الناس اصلهم من روسيا المدمرة الجائعة يأخذون في الحديث
 عن البلشفية ! ان عواطف الجماهير معنا ! وليس امام البرجوازيين الا حظ واحد في النجاة :
 ان يظلوا ، ما دام السيف لم يستأمن ايديهم . وما دام في حوزتهم مدافع ، ومصوبين هذه المدافع
 الى روسيا السوفياتيات وان يسحقوها خلال اشهر معدودة ، لان سحقها لن يعود ممكنا بعد ذلك .
 هذا هو الوضع الذي نحن فيه وهذا ما يحتمل السياسة العسكرية التي ينبغي عليها مجلس مفوضي
 الشعب وهذا ما يجعل حقا لنا ان نقول ، بناء على الوقائع والنتائج ، اننا اذا كنا صامدين للمحنة فما
 ذلك الا لان العمال والفلاحين ، وقد انبكتهم الحرب اشد الانبكاك ، قد اقاموا البرهان على بطولتهم
 من جديد ، ان اخذوا بينون جيشا جديدا في اكثر الظروف ايلاما .

تلك هي الحصيلة المجملية لسياسة السلطة السوفياتية في الحقل العسكري . غير انني
 سأسمح لنفسي باضافة كلمات قليلة حول نقطة تتصل فيها السياسة العسكرية بالسياسة في حقول أخرى
 وبالسياسة الاقتصادية : عنيت مسألة الاختصاصيين العسكريين .
 تعلمون ، ولا شك ، ان جدل اثارته هذه المسألة وكمن مرة رأينا رفاقا من الشيوعيين
 البلاشفة بل من اعظمهم اخلاصا واكثرهم اقتناعا يرفعون احتوائهم باغنف الاحتجاج على استخدامنا
 في تنظيم الجيش الاحمر الاشتراكي ، اختصاصيين عسكريين قداماء من جنرالات القيصر وضباطه تركت فيهم
 خدمة الأوتوقراطية وحيانا الحملات الدامية ضد العمال والفلاحين اثرا لا يمحي .
 ان التناقض هنا جلي وبين ، والنقمة بمعنى من المعاني تولد من ذاتها . فكيف ينبغي الجيش
 الاشتراكي بمعونة الخبراء القيصرين ؟

لكن الواقع هو اننا ، على هذا النحو فقد استطعنا ان نبنيه . واذا ما تفكرنا في المهمة
 التي كانت واقعة على عاتقنا ، فليس من الصعب ان نفهم اننا لم نكن نستطيع بناء الجيش الا على هذا النحو
 النحو . وليست المسألة عسكرية فحسب : فلقد كان علينا ان نحل المشكلة ذاتها في سائر مجالات
 الحياة الوطنية والاقتصاد الوطني .

كان قداماء الاشتراكيين الطوباويين يخالون ان بالوسع بناء الاشتراكية باناس من غير الصف
 الموجود ، وانهم سوف يكونون اول الامر اناسا في منتهى الدلية وغاية النقاوة لهم من الكفاءة العلمية
 اعجبها ، وانهم بفضل هؤلاء الناس سوف يبنون الاشتراكية . اما نحن فقد سخرنا دوما من هذه الافكار
 ان لم نكن فيما سياسة جادة بل حزلا . ان او اشتراكية مشبعة بماء الزهر تصلح لانسات المدارس
 الداخلية .

نحن نريد ان نبني الاشتراكية مع اولئك الناس الذين رتبهم الرأسمالية فافسدتهم وعمرتهم
 لكها ، في آن معا ، اكسبت عيدانهم صلابة الصراع . ان ثمة بروليتاريين قد شحذت عزيمتهم بحيث
 يجتولون من التضحيات ما يضيق به اي جيش ، وثمة عشرات الملايين من الفلاحين المضطهدين الجاهلين
 المشتتين الذين يستطيعون ، رغم ذلك ، ان يلتفوا حول البروليتاريا في الكفاح اذا هي سلكت نحوهم
 سلكا حكيما . ثم ان هناك الاختصاصيين في امور العلم والتقنية ، وهم جميعا مشبعون حتى العظم
 بشور برجوازي للعالم ، وهناك ايضا الخبراء العسكريون الذين تربوا على الحياة البرجوازية — بل ان
 من دواعي القبلة ان يكونوا تربوا على هذه الحياة لا على نظام الملاكين الاقطاعيين ، نظام العصا
 والقناة . ففي ما يتعلق بالاقتصاد الوطني نجد ان جميع الخبراء الزراعيين وجميع المهندسين
 وجميع المعلمين اصلهم من الطبقة المالكة : ذلك انهم لم يسقطوا من طلي الغيم ! فلم يكن للبروليتاري
 الذي لا يملك شيئا ولا للفلاح خلف محراته ان يدخل الى الجامعة في ظل القيصر نقولا ولا في ظل
 الرئيس الجمهوري ولسون . العلم والتقنية بضاعة الاغنياء ، بضاعة الملاكين ، والرأسمالية لا توزع الثقافة
 الا على اقلية . لكن علينا ان ندرك من هذه الثقافة في سبيل بناء الاشتراكية . فما ارانا نجد مواد
 بناء أخرى . نحن نريد ان نبني الاشتراكية حالا ، منذ الآن ، بالمواد التي خلفتها لنا الرأسمالية
 بين عشية وضحاها ، لا بانا . تكونم لنا آلات التفقيس ، اذا جاز ان نتسلى بهذه الخرافة — ان من
 لدينا من الاختصاصيين هم الاختصاصيون البرجوازيون لا سواهم . وليس لدينا من لبنات اخرى او
 شي آخر للبناء . انه ينبغي للاشتراكية ان تنتصر علينا ، نحن الاشتراكيين والشيوعيين ، ان نظهر في الوقت
 الوقائع اننا قادرون على بناء المجتمع الاشتراكي بهذه اللبنة ، بهذه المواد ، بهؤلاء البروليتاريون
 الذين لم يأخذوا من الثقافة الا اقلها ، بأولئك الاختصاصيين البرجوازيين .

حتى اذا لم تبنا المجتمع الاشتراكي بهذه المواد فلستم الا من اهل الثروة والجمجمة .
 هكذا تلوح علينا المسألة تلك التركيبة التاريخية التي خلفتها الرأسمالية العالمية ! وتلك
 هي المعركة التي توجب علينا ان نواجهها واتعيا يوم تسلمنا السلطة ويوم خلقنا الجهاز السوفياتي .
 ذلك قسم من المشكلة وهو قسم كبير . فالجهاز السوفياتي يعني ان الشغيلة متحدون على
 نزعيتهم لهم ان يسحقوا الرأسمالية تحت وطأة ثقلهم كله . وقد فعلوا . لكن هذا لا يلهم احدا .
 بل الواجب ان نأخذ كل الثقافة التي تركتها الرأسمالية وان نبني بها الاشتراكية . الواجب ان نأخذ
 العلم كله والتقنية كلها والمعارف كلها والفن كله . وبغير ذلك لن نستطيع ان نبني الحياة والمجتمع

بخدمتنا ، ان نخففهم من اثقالهم الموروثة ، ان نمنعهم من العودة الى عاداتهم في الاستغلال ذلك انهم ظلوا برجوازيين قداماء وانهم يتبوءون مراكز الضباط في جيشنا او هم مهندسون او خبراء زراعيون وهم برجوازيون قداماء على اي حال وان سموا انفسهم "مناشئة" او "اشتراكيين ثوريين" فالاسم لا يغير شيئا في الامورهم برجوازيون من الرأس الى القدم ، برجوازيون حتى لب العظام ، بأفكارهم وعاداتهم .

أفكان من الواجب ان نلقي بهم خارجا ؟ ما أرانا ملقين خارجا مئات الالوف من الناس ! واذا نحن فعلنا فانما على لانفسنا نجني . ذلك اننا لا نملك في سبيل بناء الشيوعية الا ما خلفته الرأسمالية . فالواجب ان ليس القاء هؤلاء الناس خارجا بل تحليم مقاومتهم بمراقبتنا ايامهم لدى كل خطوة يخطونها دون ان نقدم لهم اي تنازل سياسي من تلك التنازلات التي ينجر اليها ، في كل دقيقة ، ضعفاء النفوس . ان الناس المثقفين يقعون تحت تأثير البرجوازية وسياستها لانهم تلقوا ثقافتهم كلها من الجو البرجواني او عبر هذا الجو ، لذا فانهم يتعثرون لدى كل خطوة ويقدمون التنازلات السياسية لبرجوازية الثورة المضادة .

اما الشيوعي الذي يقول انه يعبذ الابتعاد عن مواقف كمنه كي لا يرى القذارة على يديه وانه يريد ان يبقى على يديه الشيوعيتين نظيفتين وانه سوف يبني المجتمع الشيوعي بأيد شيوعية نظيفة دونما توجه الى الاعوان المحقرين من برجوازي الثورة المضادة ، فما هو الا انسان ثرثار . فالحق على النقيض من ذلك ، ان ليس في وسعنا الا ان نستخدم هؤلاء الاعوان .

المشكلة ، عموما ، هي الآن ان نضع في خدمتنا اولئك الذين ربتهم الرأسمالية على معاداتنا وان نلاحظهم كل يوم وان نضعهم تحت رقابة المفوضين العماليين في بيئة التنظيم الشيوعي وان نخفق كل يوم ميولهم المناهضة للثورة وفي نفس الوقت ، ان نتلمذ على ايديهم .

ان لدينا ، في احسن الاحوال ، علم المحرط ، علم المحرط والدعاية ، علم الانسان الذي بلته حياة العامل في المعمل او حياة الفلاح الجائع بجحيمها ، وهو علم يعلمنا ان نصدق دلويا وان نضل ثابتين في الصراع وهو ما انقذنا من التملكة حتى اليوم . لكن ذلك لا يكفي . وليس به وحده نتنصر . فانه ينبغي علينا كي يكون النصر كاملا ونهائيا ان نأخذ كل ما هو ثمين في الرأسمالية ، اي العلم كله والثقافة كلها .

أين ترانا نأخذ ذلك ؟ ان علينا ان نتلمذ عليهم ، على اعدائنا ، فلاحونا المتقدمون وعالنا الواعون في معاملهم ينبغي لهم ان يتلمذوا على المهندسين في شعبة المنطقة الزراعية او على الخبير الزراعي البرجواني كي يأخذوا ثمار الثقافة عن هذا وذاك .

في هذا المصدد ، نجد ان الصراع الذي تولد في داخل حزبنا خلال العام المنصرم كان غاية في الخصوبة . فلقد تسبب في . جادة هي ، دون سواها ، شرط الصراع . لكننا في المقابل اكتسبنا تجربة حول مسألة لم تكن قد طرحت علينا حتى ذلك الحين ، الا اننا ، بدونها ، لا نستطيع الشروع في بناء الشيوعية . كيف نجمع الثورة البروليتارية المنتصرة الى الثقافة البرجوازية ، الى العلم والتقنية البرجوازيين وهي التي كانت ، حتى ذلك الحين ، امتياز لاقلية ؟

تلك - ولنقلنا مرة اخرى - مشكلة عويصة . غير ان الشأن كل الشأن التنظيم ، شأن الانضباط في القسم المتقدم من الجماهير الكادخة . فلولا اننا في روسيا ، نجده على رأس الملايين من الفلاحين

الذين اضطهدهم اصحاب الاراضي طوال قرون ، وظلوا خائفين ، جاهلين ، عاجزين عن ان يبنوا بانفسهم شيئا ما ، طبقة متقدمة من عمال المدن ، يفهمها اولئك ويحفظونها الثقة ويؤمنون بها لان قوامها شغيلة مثلهم ، ولولا اننا نملك هذا التنظيم القادر على جمع الجماهير الكادخة واعيانها دون ملل

ملل او كلال ، وان مصلحتنا هي في اخذ الثقافة البرجوازية كلها ، اذن لبقيت قضية الشيوعية دون امل . ولست اقول ذلك من وجهة نظر مجردة ، بل من وجهة نظر التجربة اليومية خلال عام كامل .

واذا كانت هذه التجربة تحتوي على تفاصيل ملة احيانا واهيانا مزعجة ، فان علينا ان نبصر خلفها .

ظواهر اكثر عمقا وعليها ان نفهم ان تفاصيل العمل هذه من خلاف بين لجنة العمل والمهندسين وبين الجندي الاحمر والضابط البرجواني او بين الفلاح والخبير البرجواني لها دلالة اكثر عمقا مما يبدو . لقد قهرنا الرأي القائل بطرد الخبراء البرجوازيين الى بيوتهم . ثم اننا تسلمنا الآلة وهي

تزال تدور على نحو سيء ونحن بلا اوهام حول هذا الشأن : فهي تجد ما تصطلح به كل لحظة وتفتت الجودة في الصنيع عند كل خطوة وتقع في الحفرة عند كل نقلة ويتحتم علينا انتشالها ، لكنها ، على اي حال ، تعمل ، ونحن نقودها في الطريق السليم . وهكذا وهكذا فقد سوف نخرج من قمم الدمار ، قمم الصعوبات الهائلة ، قمم الخراب ، قمم العودة الى الممجية ، قمم الفقر والمجاعة الذي

دفعتنا اليه الحرب والذي يحاول الامبرياليون في جميع البلدان ان يحكموا غداه علينا .

ان عالما من العمل السوفياتي قد علمنا ان نفهم هذه المهمة وان نتعلمها جيدا في كل حالة خاصة ، وفي الصنيع كما في الريف . وهذا واحد من مكاسب حكم السوفياتات الكبرى خلال عام . ولا بأس علينا ان كنا اضعنا سنة في ذلك ، وليس في نيتنا ان نعود الى مناقشة عامة ، كما في سالف المجد ، كي نقيم نظريا كلاً من الاختصاصيين البرجوازيين والمنظمات البرجوازية ، بل سوف نستخدم

كل حملة من حمائل تجربتنا في كل لجنة منمنع وفي كل منظمة زراعية . واذا كنا قد ارسينا دعائم الجيش الاحمر وكونا قاعدة معينة ، وامنا مؤسسات تفهم العمال ممتمهم فيها وبدأوا يزيدون انتاجية العمل بمعونة الاختصاصيين البرجوازيين الذين يحاولون ، لدى كل خطوة ، ارجاع الامور الى الوراء ، بينما نجبرهم منظمات العمال الجماهيرية على مجاراة سلطنة السوفييات في تقدمها ، فان ذلك كله هو المكسب الاعظم الذي حققته السلطنة السوفياتية . هذا العمل امر لا يلفت الانظار وليس فيه ما ييهر ويصعب تقدير قيمته كلها ، لكن تقدم حركتنا يظهر بالتحديد في مرورنا من المشكلة التي لا تتعدى سحق المستغلين الى مشكلة اخرى : عنيت ان نتعلم نحن ونعلم الجماهير بناء الشيوعية بلبات الرأسمالية وان نجبر الاختصاصيين البرجوازيين على العمل من اجلنا . هذا ، دون سواء ، هو سبيل النصر . ونحن نعلم اليوم اننا اذا تابعنا السير على هدي ما فعلناه حتى الان ، فاننا سوف نصل فعلا الى ذلك النصر .

١٧ نيسان ١٩١٩

مؤلفات لينين - المجلد التاسع والعشرون -

ص ٦٢ - ٧٣

لبنان الاشتراكي

اوائل تشرين الثاني ١٩٦٧

شباط ١٩٦٨

المجلد التاسع

في هذا العدد

الانتاجية : العمل اليومي اللبناني على أساس الشيعة

من جديد

الشيوعيون اللبنانيون : الميثاق الوطني المرحوم : وازمة الحرب

الشيوعيون اللبنانيون

حول من امانة الحرب الشيوعي اللبناني في نقل آراء الاحزاب

الشيوعية الشقيقة

بين النضال والسياسة من مشاكل النظم الخامس

الزاوية النارية : وحدة الحرب والبيروقراطية الماركسية